الأبواب الخلفية

❋ الكتاب: الأبـواب الخلـفية
❋ تأليف / أميرة أحمد
❋ مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدىٰ
❋ تصميم الغلاف: محمد نور
❋ إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدىٰ
❋ رقم الإيداع: **4654/** 2023
❋ **الترقيم الدولي:** 978-977-8954-23-4

المدير العام: الأستاذ عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com 

واتس آب: +20 100 518 6476 

فيسبوك: **دار المنتدى للنشر والتوزيع** 

جميع الحقوق محفوظة لدار المنتدىٰ للنشر والتوزيع

كل ما ورد في هذا العمل مسئولية مؤلفه، من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيلًا له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر.



الأبـواب الخلـفية

رواية

تأليف

أميرة أحمد

(عمارة لوران)





(الأبواب الخلفية)

(عمارة لوران)

ينظر لها من الخارج وهي شـــامخة شــموخ الصــمود، عالية مُرتفعة، تُراثية المعمار والبناء، طوابقها الســتة وكأنهم الســموات الســت بالنســبةِ له سـيجعلونه يصـل للسـماء السـابعة حيث حُجرته التي سـيسـكنها، والتي هي بمثابة الخلاص له من الفقر والاحتياج، وخطوته الأولى نحو تحقيق أحلامه بالثراء، ثم يحمِل حقيبته المُهترئة التي تحوي ملابســه القليلة شِــبه البالية، فهي أيضـــاً حالها من حال حقيبته القديمة المُتهالكة، ويصــعد ســلالمها الخارجية بفرحةِ الغريب الذي وجد الملاذ بعد غُربة.

بمجرد دخول (عبدالله) عمارة "لوران" الشـــامخة اســتقبله (عم ســعيد) حارس العقار الذي لا يمتلك من اســمه ســوى حروفه؛ فتراه دائماً مُتجهماً عاقداً حاجبيه وكأنه يحمل من أسـرار الحياة الكثير، حتى أصـبحت ملامحه خشـــنة ومُجعدة، ورغم ذلك تحمِل تلك الملامح من الطيبة والخير الكثير أيضـــاً، جلبابه الذي لم يتنازل عنه وربطة رأســه "بالشـــال الأبيض" يوحيان بنشأته القروية البسيطة.

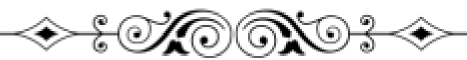
أما عبدالله فكان طويل القامة، أســمر اللون، يحمل وجهه بعض الوســامة التائهة بين ضـعف البُنيان والاجهاد والفقر، شـعره المُجعد القصـير مغطى بالعمامة الأزهرية وجسـده الهزيل النحيف بعض الشـيء يواريه بعباءة تحتها



جلباب باهت لم يغيرهما منذ سـنوات الدراسـة، جلبابه به خطوط طولية باهتة هربت ألوانه من كثرة الاستعمال.

اصـطحب عم سـعيد سـاكن السـطوح الجديد؛ ليدله على مكان إقامته الجديد وصعد معه السُلم؛ فالمصعد مُعطل منذ أسابيع، وكانت هذه فُرصة للعم سـعيد أن يمارس هوايته ليثرثر ويُعدد عيوب كل شـقة داخل البناية، ويندد بسـاكنيها واحداً تلو الآخر، أو يحصـي محاسـنهم وصـفاتهم الطيّبة؛ حيث لا توجد منطقة وسـطاً عند العم سـعيد، الناس عندهُ إما أخيّار وإما أشرار.

البداية كانت عند شقة الأستاذ (سيد) مالك العقار الذي أخذ الدور الأرضي مسـكناً له، وبما أنه مالك العقار، فنراه خطط الدور الأرضـي كما يريد وألحقه بحديقة صـغيرة تابعة لشـقته فقط، ومدخلها من داخل الشـقة؛ ليستمتع بها وحده بعيداً عن باقي سكان العقار.. هو رجل ستيني مُتصابي، لا يعترف بعمرهِ ويتشـبّه بالشـباب، تجده يُخضِّب شـعر رأسـه القليل باللون الأسود الداكن، قصير القامة، يمتلك جسد تفنن الزمان في تشويهه؛ فتجده نحيل ولكنه يمتلك خصـر يتدلى منه بطن ضـخمة فترى أزرار قميصـه تسـتغيث قبل أن تنتحر وتُلقى بنفسـها على الأرض هاربة من "كرشـه" الذي يتنامى مع جلوسـه أو حتى تنفسـه، يرتدي دائماً ملابس مليئة بالألوان الصـاخبة وكأنه يحاول بذلك التشـبُث بالشـباب الذي ضـاع منذ عقود، يرتدي "الجينز" واكسـسـوار ذهبي كسـاعة يدّ وخاتم غليظ ودلاّية حول رقبته، وسـلسـلة مفاتيح ضـخمة، يضـحك على أتفه الأسـباب ويحاول



التباسُـــط في الحديث مع الشـــباب، يرمي كلمات الغزل على كل أنثى يراها، يعيش بمفرده هو وخادمه الخمســيني بعد وفاة زوجته قبل خمسِ ســنوات وهِجرة أولاده للخارج واســتقرارهم هناك، فلا صــلة تجمع بينهم وبين أبيهم خاصــة بعد وفاة والدتهم ســوى مُكالمة هاتفية في المناسـبات والأعياد وبعض الصور التذكارية التي تُزين حوائط منزله.

ثم تليه شــقة (الأســتاذ صــبري) وابنتا شــقيقته الراحلة (آمال ووفاء) وهم يعيشــون بمفردهم؛ حيث لم يتزوج منهم أحد، حتى مرت الســنين عليهم واعتادوا على الوحدة ســوياً، الأســتاذ صــبري موظف بالمعاش، رجل ضــخم البنية وملامحه قاســية رغم امتلاكه لقلبٍ طيب، زاد من قســوة ملامحه صــوته الأجَشّ، أما ابنة أخته الآنســة آمال فهي ســيدة خمســينية، لم يمنّ عليها الخالق بحُســن الخِلقة؛ وجهها لا تزوره الابتســامة قط، وكأنها ولدت وهي عابســة، فارعة الطول وحجمها ضــخم وصــوتها عالي وخشــن، أما أختها الحاجة وفاء فهي عكسـهما تماماً، تكبُر السـيدة آمال بعشـرِ سـنوات، يقترب عمرها من عُمر خالها، قصــيرة وحجمها صــغير بانحناءة بســيطة تزيد من قصــر قامتها، صــوتها هادئ ولا تفارق البســمة وجهها، تراها دائماً تتلمس الحديث مع الجميع، خاصــة الســيدة (شــيرين) جارتهم الحســناء، فكانت الحاجة وفاء تتربص لها لتقابلها على الدّرَج، فتتبادل معها أطراف الحديث الفارغ من أي شــيء، ســوى تأمُّل الحاجة وفاء لمظهر شــيرين، حتى تتحرج الأخيرة من نظراتها التي تلامس جســدها، فتســتأذن منها وتغادر مُســرعة مُتعجبة منها!



ينظر عبدالله لعم سعيد وهو يذكر كل شقة بشغف، وكأنه بصُحبة مُرشد سياحي يُطلعه على معالم أثر من الآثار ويُعلمه أسرار المكان، فينظر له عم سعيد بتفاخُر ويُكمل حديثه باسترسال..

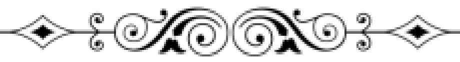
شقة الدور الثالث كانت للسيدة (شيرين) وابنتها الوحيدة (إنجي) يعيشان وحيدتان؛ بسبب سفر وعمل زوجها بالخارج، وهنا لاحظ عبدالله نظرة عم سعيد للشقة باشمئزاز، ولكنه تجاهل نظرته حتى يُكمل عم سعيد جولته التعريفية للمكان، فاسترسل عم سعيد في حديثه وقال:

- مدام شيرين "العايقة" لا ضابط ولا رابط لها، تخرج كما تشاء، وقتما تشاء، ولا تراعي بيتها إلا حينما يقترب موعد إجازة زوجها السنوية، وما أن يعود لعمله خارج البلاد تعود "ريمة لعادتها القديمة" تراها وهي مُتأنقة تهرول على النادي حيث تجلس به معظم النهار، ومعظم طعامها هي وابنتها إما في هذا النادي أو من عند الحاجة الطيبة سِت صفاء.

الدور الرابع يسكنه المهندس (هاني) وزوجته (ماريان) وابنهما (مُراد) صديق (عِصام) ابن الحاجة صفاء التي تسكن الخامس وزميل دراسته..

بالطبع نظر عم سعيد للصليب المُعَلّق على باب شقة المهندس هاني بتأفف - كعادته - ولاحظه عبدالله الذي رسم على وجهه نفس نظرة الضيق، ليكسب بها رضا عم سعيد وقد نجح في ذلك؛ فما أن لاحظ عم سعيد تلك النظرة حتى تمتم بالشهادة:

- لا إله إلا الله، ربنا يهدي من يشاء يا شيخ عبد الله.



يرد عبدالله على كلامه بهز رأسه يميناً ويساراً وكأنه حزين!

تابع الاثنان صعودهما حتى وصلا للدور الخامس شقة (الحاجة صفاء) أرملة وأم لصبي بالمرحلة الثانوية، وبنت بالسنة النهائية بكُلية الطب (عِصام و عُلا) لم يذكرهم سعيد بسوء غير أنه عاب على عِصام مصاحبته لــ مُراد ابن الأسرة المسيحية التي تسكن في الدور الرابع!

أما الدور السادس والأخير فكان يسكنه الشيخ (عمّار) وزوجته السيدة (أم مُعاذ) وأبنائهما (مُعاذ، عليّ، طَلحّة، أمينة) وهنا ظهرت علامات الرضا الكامل على وجه عم سعيد وابتسمت ملامحه قليلاً وهو يقول:

- بارك الله للشيخ عمّار وأسرته، فهو حازم وحاسم معهم ولا تخرج زوجته وابنته إلا للضرورة وبالزي الإسلامي الكامل.

وصل الاثنان بعد انتهاء الجولة التعريفية السريعة لحجرة عبدالله القابعة وحيدة بسطوح البناية وتحيطها مساحات واسعة من كل جانب بها بعض الزرع الأخضر المُهمل، وبعض الأثاث القديم، وأيضاً حجرة خشبية صغيرة مُغلقة.

دخل عبدالله حجرته أخيراً ورمى حقيبته على أرضيتها وتفقدها بنظرهِ سريعاً..

كان بها مَخدع صغير من الحديد، عليه غطاء قديم ووسادة تشتكي الدهر، بجوارهِ منضدة صغيرة، ومقعد خشبي وحيد في وسط الغرفة، أمامه منضدة أكبر حجماً من التي تقبع بجوار المخدع.

سأل عبدالله عم سعيد:



- أين دورة المياه يا عم سعيد؟!

أشار له عم سعيد خارج الحجرة بيده تجاه الحجرة الخشبية المُغلقة في رُكن السطوح الخلفي وقال له:

- هناك.. وهذا هو مفتاح باب الغُرفة وباب دورة المياه أيضاً.

شكره عبدالله؛ لينصرف وينعم ببعض الراحة بعد عناء يومٍ طويل، وبالفعل استأذنه عم سعيد مُنصرفاً وهو يقول له:

- سأصعد لك غداً بمشيئة الله، لأعطي لك عقد الإيجار بعد أن أوقعه من الأستاذ سيد.

شكره عبدالله وهو يغلق باب غرفته، ليرتمي على مخدعه الحديدي ويغُطّ في نومٍ عميق بلحظات.

استفاق عبدالله من نومه في صباح اليوم التالي، ليجد نفسه على نفس وضعية أمس لم يتحرك من كثرة الإجهاد، تذكر وهو يستفيق حياته القاسية في قريته الريفية التي غادرها للتو، مع قرار عدم الرجوع لها مهما عانى في حياته خارجها، تذكر عَمّه الذي لم يوافق على تزويجه ابنته؛ لمجرد أنه فقير لا يملك سوى شهادته الأزهرية التي نالها بعد عناءٍ وشقاء كان ضحيته أبيه الذي عانى أشد معاناة؛ ليوفر له مصاريف تعليمه، حتى مات غارساً قدميه في طين القرية يزرع شتلات الأرز في أرضٍ ليست ملكه؛ ليتقاضى بضع جنيهات لا تسد رمق ولا تشتري سوى الفُتات، فورثت منه زوجته الشقاء؛ لتُكمل مسيرة ابنها الوحيد؛ عشماً في أن يتخرج ويعوضها عن كل هذا العناء، لكنها لحقت بزوجها بعد أن عُذبت أعوامٍ وأعوام بين



العمل الشاق ومرض مُزمن فتك بكبدها؛ فماتت المسكينة على سرير قذر داخل مشفى حكومي لا يعلم عن مرضاه سوى تسليم جثثهم لذويهم بعد أن يقضوا نحبهم نتيجة الإهمال وعدم الاكتراث.

تخرّج عبدالله وحيداً والتحق بوظيفة بالأوقاف في المحافظة التي تتبعها قريته الفقيرة ولكن... راتبه لا يساوي ثمن مَشقّة الطريق! وعندما رغب في الزواج بابنة عمه (صفية) رفض العمّ وقال له نصاً:

- كيف أزوجك ابنتي وأنت لا تستطيع أن تُطعم نفسك وتأتي إلينا مُتحججاً كل مساء لنُطعمك!

كانت كلمات العمّ كالطعنات، فقرر عبدالله السفر للإسكندرية علّه يجد هناك عملاً يدُّر عليه مالاً أكثر من راتب الأوقاف، فبحث عن سَكن حتى وجده ونقل نفسه ووظيفته البسيطة لمدينة الأحلام، علّه يجد حِلمه المُلِّح عليه بالثراء داخل أركانها، ولولا معرفته السابقة بحارس عقار البناية (عم سعيد) الذي كانت تجمعه بوالد عبدالله صداقة وجيرة - قبل أن ينتقل عم سعيد للمدينة ويترك زوجته وأولاده في القرية بحثاً عن الرزق - ما كان استطاع أن يحصل على حجرته تلك، فقد أقنع عم سعيد صاحب العقار أن يقوم بتأجيرها لهذا الشاب التقي - كما كان يصفه العمّ سعيد دائماً - بدلاً من غلقها وعدم الاستفادة منها.

قطع هذا السيل من الذكريات، دقات عم سعيد على باب الغُرفة، ففتح له عبدالله الباب ليجده يحتضن "قِرطاس" ورقي تفوح منه رائحة شهية داعبت مِعدة عبدالله الفارغة، وبضعة أرغفة من الخبز الطازج الذي أسال لُعاب



الشاب الجائع، ليفسح له الطريق بترحاب الصائم لمدفع الإفطار بعد صيام يومٍ صيفيٍ حار.

وضع عم سعيد ما يحمله على المنضدة وهو يداعب الشاب ويقول:

- أحضرت إفطاري معي حتى لا أتأخر عليك بعقد الإيجار، وسآخذ الإفطار وأنزل بعد أن توقّع على العقد مباشرة.

فيبهت وجه الجائع، ويصمُتْ حتى لا يصيح بوجه عم سعيد أو يطلق عليه "عصافير بطنه" التي تصيح جوعاً، فتفتك بالرجل وما يحمله من طعام!

يبتسم عم سعيد وينقذ الشاب عبدالله من خيبة أمله ويقول له:

- هيا اجلس يا فتى وتناول طعام إفطارك، فأنا أمزح معك، أنت ضيفي اليوم وكل يوم حتى تستلم وظيفتك وأطمئن عليك.

يبتسم الفتى ويشكره على كرمه ويوقع عقد الإيجار سريعاً دون قراءته؛ حتى ينقضّ على فريسته المُلقاة على المنضدة ورائحة "الفلافل" الساخنة تثير معدته كفتاةٍ لعوب تثير زبائنها باحثي المُتعة الحرام بثيابها العارية ورائحتها المثيرة للغرائز.

انصرف عم سعيد في هدوء وترك الشاب الجائع مع قرطاسه اللّعوب، ليفض الشاب عنه غطاءه ويلتهم ما به ولا يترك حتى الفتات.

بعد أن فتك بطعامهِ، أخرج من حقيبته بعض الملابس ومنشفةِ وجه، وخرج من باب غرفته متوجهاً للغرفة الخشبية، فتح قفلها الصدِئ بالمفتاح الذي تركه له عم سعيد البارحة، ودخل ليستحم، ارتدى عبدالله ملابسه في عجلةٍ من أمره وتوجه إلى مقر عمله الجديد.



أثناء نزوله رأى بعضٌ من جيرانه يغادرون شُـقـقهم، فألقى عليهم جميعاً السلام وهو ينظر في الأرض وينزل سريعاً، وصل لمكان عم سعيد بجوار باب البناية الحديدي الضخم، حيث يقبع ليلاً ونهاراً على كرسيه الخشبي، فألقى عليه السلام وطلب منه الدعاء والتوفيق، ليستجيب له العم الطيب ويدعو له بالرزق الحلال.

مرّ على عم سعيد وهو جالس صباحاً مُعظم من بالبناية يغادرون لأشغالهم وجامعاتهم ومدارسهم المختلفة، عدا السيدة شيرين؛ فهي لا تعمل ولا تخرج إلا متأخراً لتذهب للنادي وتجلس به معظم النهار.

****

نادت على عم سعيد بصوتها الجهور:

- يا سعيد.. فلتصعد سريعاً لتأتي لي بطلبات البيت.

كانت هذه هي الحاجة صفاء، فلم يتوان العمّ سعيد وردّ عليها مُسرعاً:

- حاضر يا حاجّة، حالاً سوف أصعد.

"الحاجة صفاء.. سيدة خمسينية خمرية اللون، ذات حجاب دائم السواد لا ترتدي غيره منذ وفاة زوجها، بجلبابها المنزلي الواسع، وذراعيها وهما في وضع الاستعداد للعمل المنزلي دائماً، وجسدها الممتلئ إلى حد ما، وابتسامتها التي لا تغادر وجهها البشوش، كانت كأي أم مصرية طيبة ترعى أبناءها دون كللّ أو مللّ"

لم يكن العم سعيد يقبل أن يذهب ويجلب لأي أحد من سكان العقار باحتياجاته اليومية إلا للحاجة صفاء، حتى الأستاذ سيد صاحب العقار؛



فهو كان يعتبرها مثال للأم المُضـحية التي آثرت الوحدة واعتصـمت ببيتها لتُربي أبناءها، وهي أيضـاً كانت دائمة العطف عليه والسـؤال عن أحوال زوجته وأولاده، وكانت من حين لآخر تبعث ولدها عصام ليعطيه ما لذّ وطاب من الطعام والحلويات منزلية الصنع.

كانت الحاجة صفاء مُكتفية بمعاش زوجها الموظف البسيط الذي توفى عنها منذ خمسـة عشـر عاماً، ولكن نظراً لمُتطلبات الحياة والدراسـة، خاصـة عندما التحقت ابنتها عُلا بكُلية الطب، اضطرت أن تعمل من منزلها في مجال الطبخ، فكانت تُحَضِّر وجبات طعام منزلية الصُنع وتبيعها لبعض الأصدقاء والمعارف، وشيئاً فشيئاً ونظراً لإجادتها صُنع الطعام والحلويات، زادت زبائنها وزاد دخلها واستطاعت أن تتحمل أعباء الحياة التي تزداد عاماً بعد عام.

صعد لها عم سعيد وأخذ منها قائمة الطلبات اليومية وذهب مُسرعاً لسوق الخُضـار ليحضـر لها كل طلباتها، أثناء غياب عم سـعيد عن البناية، وصـل الأسـتاذ سيد ومعه بعضٍ من أصدقاءه، ليُكملوا جلستهم التي أنهوها للتو في النـادي الاجتمـاعي الـذي يجمعهم، لأنهم قـد شــعروا بـالملـل من الجلوس في النادي وهم لا يرون أمامهم إلا رجال، فقال لهم الأسـتاذ سيد بعد أن استبد بهم الملل من لعب الطاولة والشـطرنج، وفقدوا الأمل في الحصـول على بعض النظرات لأي أنثى:

- فلنذهب لشــقتي ونجلس هناك، فلا فرق بين هنا وهناك، فـأرض النادي لن تكسـر سـوء الحظ الذي يلازمنا منذ أيام لتجعلنا نرى



أنثى تخطو على أرضـــه وواضـــح أننا لن نرى مهما انتظرنا، وأنا لا أتحمل تلك الوجوه الذكورية الخشنة.

ضحك الأصدقاء وردوا عليه:

- وما الفارق إذن! فلنظل هنا علّنا نرى "جنس ناعم" يطُل علينا بعد حين.

رد عليهم متجهماً:

- لن يحدث.. فأنتم من يراكم مرة لا يكررها مرة أخرى، وأعتقد أن كل رواد النادي من الإناث قد عقدوا العزم على ذلك، فوجوهكم تجعلهن يهربن من رؤيتكم.

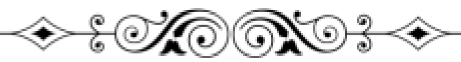
يضحك الجميع وهم يهمون بالانصراف، ووصل الجمع لشقة الأستاذ سيد، فتح لهم الخادم وجلســوا جميعاً بحديقة مُلحقة بالشــقة وأحضــر لهم الخادم المشــروبات وبعض المأكولات الخفيفة، وتجمعوا حول "الطاولة والشطرنج" وهم يتسامرون في ذكريات الماضي وتعالت ضحكاتهم وتعليقاتهم المليئة بالإيحاءات الجنسية.

أثناء ذلك عاد عم ســعيد مُحملاً بالأكياس المكتظة بالخضــراوات واللحوم وكل ما يلزم تحضــير الطعام المنزلي، صــعد للحاجة صــفاء ووضــع حِمله، لتشــكره وتعطي لـه بعض المال وصــحنٍ مليء بالطعام وبعض الفاكهة الطازجة، ليشــكرها وينزل يجلس على مقعده أمام البناية بعد أن وضــع الطعام في حجرته بجوار سُلم العمارة.



نزلت السيدة شيرين وهي متأنقة كعادتها، ليراها أصدقاء الأستاذ سيد وهم جالسين بالقرب من البوابة داخل حديقة الشقة بالدور الأرضي، ليطلق أحدهم صافرة ويعلق آخر بكلمات غزل على قوامها وجمالها، ويقوم ثالث من مقعده ويحاول أن ينظر لجسدها كله قبل أن تختفي من أمامهم، لتنظر لهم شيرين من خلف نظارتها الشمسية العريضة وتبتسم ابتسامة ملأت وجهها وأفرجت عن أسنانها التي زاد لونها بياضاً عندما غُلفت بشفتيها العريضتين المتزينة باللون الأحمر القاني، وتُلقي السلام على الأستاذ سيد الذي ما أن سمع صوتها حتى قام من مجلسهِ وذهب إليها مهرولاً ليُسلم عليها ويطيل من وقفتها؛ حتى ينظر لها أصدقاءه المتصابين مثله ويتمتمون ببعض جُمل الغزل التي تجعلها تبتسم أكثر وأكثر، ثم تنصرف لسيارتها وتذهب لناديها حتى قرب موعد عودة ابنتها من مدرستها الخاصة.

"شيرين... سيدة ثلاثينية فاتنة، جسدها المتناسق رغم قصر قامتها التي تستعيض عنه بارتداء الأحذية ذات الكعب العالي التي تزيد من أنوثتها وجمال سيقانها البيضاء المكتنزة، شعرها الطويل المصبوغ باللون الأشقر المتطاير على وجهها الذي يحمل كل أنواع الزينة والمكياج ويثير كل من يراها، ترتدي دائماً فساتين قصيرة نوعاً ما، ونظارة شمسية عريضة لا تتخلى عنها معظم الوقت، تتعطر بأغلى أنواع العطور الفرنسية الجذابة التي تطلبها بالاسم من زوجها، فتزداد أنوثتها وجاذبيتها"



تابع عم سـعيد المشـهد بتأففِ المُعتاد على ذلك الموقف، والرافض له دون حيلة له في منعهِ سوى ببعض التمتمات الغاضبة اللّاعنة لكلٍ من.. تصابي هذا العجوز، وانحلال هذه الزوجة، وصفاقة هؤلاء الأصدقاء.

جلس بعدها الأصدقاء مع الأستاذ سيد يتغنون بمفاتن الجارة الحسناء كعادتهم، ويحسدونه على محادثتها وقُربهِ منها، حتى وجدوا موضوعاً آخر للحديث عنه، ثم انصرفوا واحداً تلو الآخر تاركين وراءهم صديقهم وحيداً لا يجد ما يفعله، فيستلقي أمام شاشة التلفاز حيناً ويتصفح هاتفه النقّال حيناً، ليغط في نومٍ عميق، حتى يوقظه خادمه على ميعاد تناوله طعام الغداء.

بدأ سكان العقار في العودة واحداً تلو الآخر...

أولهم كان المهندس هاني مُصطحباً معه زوجته التي تعمل مُعلمة أطفال في الكنيسة القريبة من منزلهم، يلقي المهندس هاني التحية على عم سعيد:

- سعيدة يا سعيد.

ويبتسم هو وزوجته ابتسامة خبيثة، ويتبادلان النظرات وكأنهما على يقين من ردة فِعل عم سعيد الذي اعتدل في مجلسه وهو يرد عليهما بضيق:

- وعليكم السلام يا باشمهندس.

فتزداد ضحكاتهما الخبيثة ويصعدان دون تململ أو ضيق؛ فهما يعلمان أن عم سعيد رجل طيب القلب ولكن جهله وميراث عاداته المُتشددة هما ما يجعلان موقفه من أسرة هاني المسيحية بهذه الحِدّة، لدرجة أنه يرفض أن يأخذ منهما أي طعام أو شراب مهما حاولا معه، حتى توقفا عن المحاولات



واكتفيا بإعطائه بعض المال من حين لآخر، فهما يعلمان جيداً قلبه الطيب منذ سنوات عندما وقع ابنهما مُراد وكان طفلاً صغيراً، وجُرحت رأسه وكانت أمه معه في المنزل وحدها، فما أن استنجدت بالجيران حتى هرولوا لها جميعاً وكان أولهم عم سعيد الذي انتزع الولد منها انتزاعاً وهرع به على المشفى، ولم يتركهم إلا بعد أن عادوا جميعاً لشقتهم، هذا الموقف يشفع له تعنُته ومبالغته في تجنبهم.

وصل بعدهما ابنهما مُراد بصُحبة عِصام عائدان من مدرستهما يتضاحكان، ويصعد كل منهما لشقته بعد أن نبه عِصام على مُراد ألا يتأخر عليه ليذهبا سوياً " لسنتر الدروس الخصوصية " فوعده مراد ألا يتأخر عليه.

"عِصام.. شاب في مرحلة المراهقة لكنه ممن يُعتمد عليهم ليس من أولئك الشُبان المستهترين، فهو يعتبر نفسه رجل أسرته الصغيرة ويتصرف على هذا الأساس، طويل القامة، وسيم الطلّة، شعره ناعم وبشرته بيضاء تميل للحُمرة، كانت والدته تُردد أنه يشبه أباه الراحل، وتقارن دائماً بين صور الأب الراحل وصور عِصام في كل مرحلة عُمرية"

يدخل عِصام على والدته المُنهمكة في مطبخها لدرجة أنها لم تشعر به خلفها إلا عندما داعبها كعادته وأحتضنها من الخلف، لتتفاجأ هي كالعادة، ثم تضحك له ضحكتها الحانية وهو يطبع على رأسها قُبلة حبٍ وودّ وتقدير لتعبها لأجله هو وأخته.



يختطف من أمامها قطعة كبيرة من الخضـــار ويتناولها وهو مُنصـــرف لحجرته، لتعود هي لانهماكها في تحضـير أصـناف الطعام المختلفة وتغليفها استعداداً لإرسالها لأصحابها كلٌ حسب طلبه وعنوانه.

تنتهي الحاجة صـفاء من إعداد الطعام وتغليفه وتنادي على عِصـام، حتى يأتي ليوزعها على أصحابها وتحصيل المال منهم، يُسرع عِصام إليها بعد أن بدّل ملابسه سريعاً وكأنه مُعتاد على ذلك، يخرج من باب الشقة مُحمّلاً بكّمٍ هائل من الأكياس ويصل مُجهداً للبوابة، حيث ينادي على عم سعيد الذي ما أن سمع صوته حتى ظهر ومعه درّاجة مزودة بصندوقٍ خشبي ضخم خلف مقعدها، يضع داخله عِصام الأكياس وينطلق مُسرعاً.

كان هذا الفعل يحدث يومياً، دون أن يتذمر عِصـام؛ فهو يعلم مدى تعب والدته لأجله هو واخته عُلا، فاعتبر مشـقته تلك نوعاً من أنواع المسـاعدة لها، وما أن ينتهي من توزيع الطعام وتحصيل المال الذي يأخذ منه كل ما يزيد عن فاتورة الحساب، حتى يعود مُسرعاً ليستبدل ملابس العمل ويذهب مع صديقه مُراد لتحصيل دروسه دون كللٌ أو مللّ، بل إنه مع مرور الوقت أصبح يمتلك خِبرة لا بأس بها في التعامل مع الأفراد المختلفة وأيضـاً أمتلك مبلغاً لا بأس به من المال الذي ادخره على مدار ثلاث سنوات هي عُمر وظيفته مع والدته.

عادت عُلا من جامعتها المرموقة وهي مُرهقة كعادتها، ألقّت بكُتبها ومراجعها الثقيلة على أقرب مكان، وذهبت لوالدتها التي كانت قد انتهت من عملها



وبدأت في عمل طعام الغداء لأسـرتها الصـغيرة، ألقت على والدتها التحية وذهبت لحجرتها...

"عُلا.. طالبة مجتهدة ومهذبة، مظهرها العام يعبر عن شخصيتها، فهي ترتدي دائماً الملابس المُريحة الفضفاضة وحذاء رياضي مريح، لا تضع مساحيق تجميل على وجهها أبداً، تستعمل نظارة طبية منذ أن كانت بالمرحلة الثانوية ولم تهتم أبداً بتبديلها بعدساتٍ لاصقة كما تفعل فتيات كثيرات في مثل عمرها، شعرها طويل نسبياً ومُجَعّد، سمراء اللون، خفيفة الروح والطّلة، أخذت من والدتها الملامح وطيبة القلب فكانت تحنو على أخيها الأصغر وتتابع شئونه دائماً، وأيضاً تستغنى عن الكثير من احتياجاتها حتى لا تُكلف أمها أعباء فوق أعبائها"

تنتهي الأم من إعداد طعام الغداء لأسرتها وتساعدها ابنتها في تحضير طاولة الطعام، حتى يعود الابن ويتناولون جميعاً الغداء الذي يتخلله بعض الأحاديث والثرثرة الجانبية عن أحداث اليوم.

تعود أيضاً السيدة شيرين وتعرج على الحاجة صفاء قبل أن تدخل شقتها؛ لتأخذ منها طعام الغداء لها ولابنتها التي عادت من مدرستها في نفس ميعاد عودة أمها من النادي التي مكثت به طيلة اليوم، تشكر الحاجة صفاء وتنزل لشقتها...

منزلها أنيق قدر أناقة مالكته، لم تبخل عليه بالديكورات باهظة الثمن ولا الموبيليا الفاخرة والستائر الحريرية والسجاد العربي، وزينته بالتُحف الأصلية والتابلوهات الفنية لرسامين مشهورين إلى حدٍ ما.



تدخل لحجرتها بعد أن أمرت ابنتها أن تُبدل ملابسها وتستعد لتناول الطعام، ألقت بفستانها الأنيق التي كانت ترتديه على سرير نومها الفارغ البارد، ونظرت لنفسها في المرآة تتفحص مفاتنها وكأنها ترى امرأة غيرها، لتتنهد وتقول بصوتٍ خافت:

- ستندمين على إهدار سنوات عمركِ عندما تذهب مفاتنك تلك دون أن تتمتعين بها أيتها الغبية الطامعة في المال والمركز الاجتماعي والمظاهر.

ومع نظرات الحسرة لجسدها اليانع المليء بالأنوثة الصارخة وتمتماتها الحزينة، يتعالى صوت ابنتها تدعوها لتناول الطعام، فقد استبد بالصغيرة الجوع، لتلبي والدتها النداء ويجلسان سوياً لتناول الطعام، وما أن انتهينا من طعامهما حتى أخذت كل منهما طبقها التي تناولت به الطعام لتُلقي بباقي الطعام الذي يحتويه في سلة القمامة وتضعه في غسّالة الصحون، تدخل بعد ذلك إنجي إلى حجرتها تنهي واجباتها المدرسية سريعاً لتلتقط هاتفها الجوال بعد ذلك وتقضي باقي اليوم وهي بين جنباته تلهو بتلك اللُّعبة العنيفة السخيفة، ثم تنتقل لتصفُح صور الفنانات وملابسهن، ثم تتحدث مع صديقاتها اللاتي لا تختلف بيوتهن عنها كثيراً، فمعظمهن بيوتهن فارغة من الحب والرعاية والاهتمام، لا تخرج الصغيرة من حجرتها إلا عندما تناديها أمها عدة مرات لتنتبه لموعد "الدرس الخاص" الذي تتلقاه في منزلها من الأستاذ (إبراهيم) المُعلم المُخضرم في مدرستها الخاصة والذي وافق على إعطائها هذا الدرس الخاص رغم انشغاله لسببين... أولهما المبلغ المالي



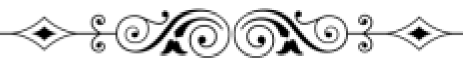
الضخم الذي سيتقاضاه من والدتها الحسناء، وثانيهما هو والدتها الحسناء نفسها التي سيستمتع بجمالها وعذوبة حديثها كلما ذهب إليهما.

خرجت الفتاة مُتأففة لتتلقى الدرس، وهي في معظمه غير مُنصــته لما يقول الأستاذ الذي يسترق النظر بين الحين والآخر للأم الفاتنة التي تجلس قريبة منه وتحمل هاتفها، لا تهتم بنظراته التي تخترق جسدها كله.

ينتهي الدرس وتودعه الأم بابتســامة وتضــع في يده ظرفاً أنيقاً يحمل بين طياته ثمن الحِصّة التي انتهت، ليشكرها الأستاذ ويلامس أطراف أصابعها وهو يتناول الظرف، فتسري في عروقه شُحنة كهربية تنعكس على لعثمته في الكلام وفي حُبيبات عَرقه التي ملأت وجهه ويُســرع بالانصــراف، تودعه ابتســامة رضــا وانتصــار من الأم الحســناء التي أشــبعت غرورها بمظهرهِ المُضحك الذي لا يليق أبداً على وقارهِ ووضعهِ العلمي.

تدخل الصغيرة لحجرتها مرة أخرى، لتدخل عليها أمها بعد قليل من الوقت، مُتأنقة كعادتها وتُبلغها أنها ســتذهب لزيارة صــديقة لها.. وكعادة البنت لم تبالِ بما قالت الأم، وكعادة الأم التي تكذب كل يوم وتقول ذلك وهي في حقيقة الأمر لا تعود إلى منزلها إلا بعد منتصف الليل، بعد أن تقضي سهرتها مع صــديقاتها في "المولات" والفنادق الفاخرة والشــواطئ حتى يتعبن من التسكُع ونظرات الراغبين وضحكاتهن عليهم.

تخرج الأم من هنا لتجلس الابنة وحيدة كالعادة إلا من جهاز الجوال الذي هو عالمها الحقيقي، تتحدث مع صديقاتها حتى يهاجمها النُعاس فتنام.



تُغلق شيرين باب شقتها لتلتفت فترى أمام وجهها الشيخ عمّار الذي ما أن رآها أمامه حتى استعاذ من الشيطان الرجيم بصوتٍ مسموع:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السُفهاء منا، لا حول ولا قوة إلا بالله يا رب!

لتنظر هي مُتأففة من فِعلهِ المُتكرر كلما رآها صُدفة، فتُغلِق بابها بشِدة وعصبية وتمضي حتى تصل لجوارهِ، هو صاعد لشقته بالسادس وهي هابطة لسيارتها، وما أن تصبح بمحاذاته حتى تنظر لعينيه مباشرة، فتراه يتفحص جسدها وهو مطأطئ الرأس ورائحة عطرها النفّاذ تخترق أنفه، فترتعش شفتاه دون إرادةٍ منه، ويلتصق بحائط السُلم حتى تظن عندما تراه أنه سيخترقه، لتضحك هي وكأنها انتصرت في معركةِ وجود، فردّ فِعله اللاإرادي يُشبع غرورها وينتقم لها من تمتمتهِ الكاذبة المُدّعية.

يمسح بعض قطرات العَرق الذي تصبب على جبينه المُزين "بذبيبه الصلاة" ويهرول لشقته، يدخل وهو ما زال يُتمتم ويمسح عَرق جبينه ويلقي بعباءته الثقيلة باهظة الثمن التي تُكمل مظهره الديني، لتستقبله زوجته الطيبة بحفاوة وابتسامة، وتسأله:

- ما الذي يضايق شيخي الجميل! لا تقل لي أنك صادفت تلك الحسناء مرة أخرى وأنت عائد من عملك؟

ينظر لها ويجلس وهو يتنهد ويقول:

- نعم رأيتها، أستغفر الله العظيم من كل ذنبٍ عظيم، كلما أراها مُصادفةً أشعر وكأن الشيطان يسكُن البناية.



ترد عليه زوجته الطيّبة مُداعبة ومُخففة عنه:

- هون عليك يا شيخي، سيعود زوجها عما قريب لترتاح من مصادفتها.

تبتسم وهي تأخذ عنه ملابسه، ولكن بداخلها كانت تعلم رغبة زوجها بها؛ فشعور الأنثى لا يكذب أبداً، لكنها تتجاهل شعورها ويقينها وتُحضِّر له الطعام وتجلس معه وهو يتناوله لتسأله عن أحوال تجارته وهو يسألها عن أحوال أولادهما..

"الشيخ عمّار... رجل متوسط العُمر، قويّ البُنيان، ملامحه قاسية وزاد من قساوتها أنه عابس دائماً، يمتلك لحية طويلة غير مُهذبة تُغطي معظم وجهه، جسده به من القوة والرجولة ما يجعلك عندما تراه تشعر وكأنك أمام لاعب حَمل أثقال، نَهِم في كل شيء.. طعام وشراب ونساء ومال، ويحب أسرته ولكن أكثر ما يحبه في الدنيا النساء، يرتدي دائماً جلباب وفوقه عباءة باهظة الثمن؛ لتليق بتجارته الكبيرة، فهو يمتلك سلسلة محلات عطارة في أشهر مناطق الإسكندرية، ويمتلك أيضاً عمارتين سكنيتين لكنه لا يترك شقته المُؤجرة تلك أبداً؛ فهي كانت "وجه الخير عليه" كما كان يردد دائماً عندما يقترح أحد أولاده الانتقال من هذه الشقة لأخرى تكون أكبر وأوسع فالشقق التي يمتلكها والدهم كثيرة، إلا أنه كان يرفض دائماً، وكانت توافقه الرأي زوجته المُطيعة الراضية؛ فهي أيضاً تُحب هذه الشقة التي شهدت أجمل أيام عمرها ورُزقت فيها بكل أولادها، وأيضاً كانت تحب جارتها الحاجة صفاء جداً وتعتبرها شقيقتها"



" الحاجة أمّ مُعاذ (سُهير) هذا هو اسمها الذي لا يعلمه إلا القليل، حتى هي كادت أن تنساه؛ فلا أحد يتجرأ لينطقه وكأن اسم المرأة سُبة أو سيئة وسوأة يجب أن توارى! سيدة أربعينية بها من جمال الخِلقة القليل ومن جمال الروح والخُلق الكثير والكثير، خمرية البشرة، شعرها ناعم ومخضب بالحناء دائماً، تتزين بالمشغولات الذهبية وتلبس ملابس منزلية أنيقة تختارها بعناية، حتى تستحوذ على رضا زوجها الذي يُحب النساء وهي تعلم ذلك عنه عِلم اليقين، ورغم عِلمها ويقينها بذلك إلا أنها تُنكر هذا الشعور وتتجنبه وتحاول أن تفعل أي شيء وكل شيء ليرضى عنها، تزوجت الحاج عمّار وهي في سن الخامسة عشر وهو كان عاملاً بسيطاً في محل عطارة يملكه أحد شيوخ السلفية اللذين قَدْموا إلى الإسكندرية من صعيد مصر واستقروا بالبلدة العريقة منذ عقود، ساندت زوجها وكانت خير زوجة وأمّ ودعّمته وتحملت معه المشاق حتى كبر وتضخمت ثروته وأصبح من كبار تجار الإسكندرية، ساعده في ذلك انضمامه للجماعة السلفية اللذين دعموه بالمال والنفوذ وهو بالمقابل أصبح قُطب قوي من أقطاب الجماعة السلفية، والزّم عائلته وزوجته بارتداء النقاب وجاء بأخوته وأُسرهم وأولاد عمومته وعائلاتهم لينضموا لتجارته وأيضاً لجماعته، فأصبح محل ثقة ونمت تجارته وازدهرت، وسافر لبُلدان عِدة يعقد بها صفقات توريد العطارة المُختلفة وأيضاً لعقد صفقات أخرى لا يعلم عنها أحد غير جماعته وشيوخه"

كان عبدالله قد أنهى يوم عمله الأول وخرج من ديوان وزارة الأوقاف - حيث عمل كموظف بسيط من ضمن عشرات الموظفين بالديوان - وسار بجوار البحر يتلّمس منه الهدوء ليفكر فيما سيفعل في حياته، وكيف سيتخلص من فقرهِ ويحقق أحلامه التي جاء من أجلها للمدينة الساحرة! أثناء جلوسه



على "كورنيش" البحر الأبيض المتوسـط، أخذ يتأمل الجميع، من يمر أمامه ومن يجلس جواره وحتى من يقف بعيداً عنه.. فإذا به يتأمل الباعة ويرصُد حركة بيعهم ومدى إقبال الناس عليهم وكأنه يحسدهم على ما يكسبونه من جنيهات بسيطة، ثم ينتقل بعينيه ليراقب شاب بصُحبة شابة يجلسان بجوارهِ ويهيمان عشقاً، فيتذكر ابنة عمه الذي رفضه وجرح كرامته، ليجد نفسه يحسدهما أيضاً على حبهما، فينتقل بنظره لمن يقف بعيداً عنه ليجده شاب يفتح باب سيارته لزوجته ويرحل، فيكتشف أنه ناقم على الجميع ويحسد الكُل على ما هُم عليه من نِعم حتى ولو بسيطة، فيقوم من مجلسه وهو يفكر.. كيف سيخرج من ذلك الفقر وتلك المَذّلة وهذا الحقد!

يصل للبناية.. فيجد عم سعيد بانتظاره مُتلهفاً وهو يقول:

- ما الذي أخّرك لتلك الساعة يا شيخ عبدالله؟ أنا أنتظرك منذ آذان العصر لنأكل سوياً.

يصمت عبدالله ويذهب لحجرة عم سعيد الصغيرة بجوار المصعد المُعطل، ليتقاسم معه طعامه الذي حصل عليه من الحاجة صفاء صباحاً وهو ما زال صامتاً لا يرغب في الحديث.

ما أن انتهى الاثنان من تناول الطعام والفاكهة أيضاً، حتى قام عم سعيد مُسرعاً ليصنع له ولعبدالله كوبين من الشاي ويصطحبه بعد ذلك ليتناولا مشروبهما الساخن أمام العمارة.

"لم يتحرج عبدالله من الجلوس مع عم سعيد أمام بوابة المبنى؛ فهو بسيط الحال ومُعتاد على تلك الجلسات البسيطة، وعم سعيد أيضاً صاحب فضل كبير عليه منذ أن وصل للإسكندرية، يكفي ما يفعله معه منذ وصوله"

تناولا الشاي، وأثناء ذلك حاول عم سعيد أن يعرف من عبدالله ما الذي يجعله صامتاً مُتجهماً في أول يوم عمل له، لكن دون فائدة، اكتفى عبدالله



بأن يقول له بضع كُليمات بسيطة، فهم منها عم سعيد أنه ما زال مُرهقاً ولم يتأقلم بعد على الحياة هنا.

حاول عم سـعيد أن يخفف عنه وأن يقُصّ عليه كيف كان حاله سـاعة وصـوله من بلدتهما ليهون عليه، فابتسـم عبدالله له واسـتأذن منه ليصـعد لحجرته وينام، فطبطب على كتفه عم سـعيد وأخبره أنه سـيصـعد له مبكراً ليتناول معه طعام الإفطار قبل أن يغادر عبدالله لعمله، وكأن عم سـعيد يطمئنه على طعام الغد ويزيل عنه عناء التفكير فيه.

يبتسـم عبدالله لكرمهِ ودماثة خلقه - وهو الرجل الفقير ورغم ذلك كريم جداً معه - ويصعد السُلم ويصل لحجرته ويرتمي على مضجعه، علّه يغُطّ في سُـباتٍ يُخرجه من دائرة تفكيره في مسـتقبله المُبهم، وبالفعل في دقائق معدودة كان قد غاب عن العالم وذهب في رحلةِ نومٍ عميقة.

ظل عم سـعيد جالسـاً في مكانه يتفحص وجوه المارة حتى الثانية عشـر منتصـف الليل، فأخذ يتأفف في ضـيقٍ شـديد ويتمتم بكلماتٍ غير مفهومة حتى وصلت سيارة السيدة شيرين بعد انتصاف الليل بساعة أو يزيد، لينظر لها عم سعيد بحِدة وغلاظة، ويقول لها بضيقٍ شديد:

- يا سـت شـيرين.. قد نبّه عليّ الأسـتاذ سـيد أكثر من مرة أن أُغلق بوابة العمارة في تمام الثانية عشـر مسـاءً، وها أنتِ كل يوم تجعلينني أنتظرك حتى الواحدة صـباحاً، رغم أني أبلغتك بتنبيه الأستاذ سيد لي مراتٍ ومرات.

لتنظر له شيرين نظرة تعالي وطَبقّية شديدتين وتقول له:

- قلت لك عشـرات المرات لا تنتظرني، وأنا سـأنادي عليك عندما أصـل لتفتح لي، أو أعطني مفتاح البوابة وأنا أصـنع مثله، وأنت



تُصر على عدم تلبية طلبي، أنا سأتحدث مع صاحب العقار صباحاً بشأن تصرفاتك تلك، أنت هنا لخدمتنا لا لمراقبتنا.

تركته وصعدت في عصبية قبل أن يرُد عليها، فاكتفى بغلق البوابة بحِدة وهو يُتمتم بكلماتٍ كلها تذمُر ودعاء بأن يتوب عليه الله من هذا العمل المُهين.

تصعد على السلم مُتأففة من تصرفه المُتكرر ومن سكان العقار اللذين رفضوا فكرة أن يكون مع كل ساكن نُسخة من مفتاح بوابة العقار؛ خوفاً من السرقة ومنعاً لتأخر السكان بالخارج، ولاعتمادهم على عم سعيد في الحراسة وثقتهم به، وأيضاً نكايةً في شيرين لأنها الوحيدة التي تتأخر ليلاً، فكان قرار أغلبية السُكان في كل اجتماع لهم هو رفض فكرة إعطاء أي من سُكان العقار مفتاح للبوابة.

تصل لشقتها ثم تصرخ في عم سعيد وهي صاعدة وتقول له:

- فلتستبدل مراقبتك لي ولتحركاتي بفِعلٍ مُفيد وتأتي لنا بمن يُصلح ذلك المِصعد الخرِب، حينها ستكون حارس عقار وليس حارس شخصي لي.

أكملت طريقها لشقتها، دخلت وأغلقت بابها بكل قوة وهي تردد:

- فلاح مُتطفل.

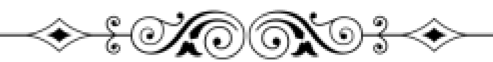
ترمي نظرة سريعة على حجرة ابنتها المُغلقة ولا تُكلف نفسها عناء فتح الباب؛ لتطمئن عليها وتدخل حجرتها ترتمي على مخدعها الحريري البارد وتَغُط في نومٍ عميق.

ينتهي يوم البناية بغلق عم سعيد للبوابة الحديدية الضخمة، ويدخل حجرته لينام هو الآخر، فهو أول شخص يستيقظ وآخر شخص ينام بعدما يطمئن على أحوال البناية وجميع سكانها.



(سُلم البناية ومُشكلة تنظيفه)





مع إشـــراقة يومٍ جديد، يفتح عم ســـعيد البوابة الحديدية وهو يُتمتم أذكار الصباح بطريقة فطرية طيبة، يذهب إلى عربة "الفول والفلافل" القريبة من المبنى ويشـــتري منه الإفطار له ولعبدالله كما وعدهُ بالأمس، يصـــعد إليه مُســـرعاً ليتناولا معاً الطعام قبل أن يبرد وقبل أن يســـتيقظ أول الســـكان ويخرج من البناية، يطرق باب عبدالله وينادي عليه فيراه وراءه يغادر الحمام وعلى وجهه منشـــفة، يلقي عليه عبدالله تحية الصـــباح ويفتح باب الحجرة ويدخلا، يتناولان معاً الإفطار الشـــهي ويتبادلان بعض الأحاديث، ثم يســـأله عبدالله عن الأســـتاذ ســـيد وهل يســـتطيع أن يجد له عملاً إضـــافياً بجانب الوظيفة، علّه بذلك العمل الإضـــافي يُحسِّـــن من دخله ويســـتطيع العيش الكريم، ليجيب عم سعيد مباشرة:

- الأســتاذ ســيد لن ينفعك في شيء، فهو رجل مُتصابي ولن يخدمك حتى لو استطاع، لو كنت امرأة لهَمّ بخدمتك قبل أن تطلب منه.

لتظهر علامات الضـــيق والإحباط على وجه عبدالله ولكن عم ســـعيد أكمل كلامه:

- أتدري يا شيخ عبدالله من يستطيع أن يلبي طلبك هذا!

ينتبه له عبدالله وتقف اللقيمات في حَلقِهِ وهو يهز رأســـه بانتباه وكأنه يقول له.. "فلتنطق يا عم ســـعيد قبل أن تُزهق روحي من الانتظار" فيُكمل عم ســـعيد وهو يقتطع قطعة من رغيف الخبز الطازج ويلفها حول واحدة من



الفلافل ويلقيها في فمهِ مباشـرة وهو ينظر لعبدالله الذي كاد أن يموت غيظاً من برود الرجل، فيبتسم وهو يبتلع ما ألقاه بفمهِ ويُكمل حديثه:

- الشـيخ عمّار... نعم الشـيخ عمّار هو من يسـتطيع أن يُلبي طلبك؛ فهو نِعم الشـيخ التقيّ الورع الذي يُحب عمل الخير، وأيضاً له من المَحالِ التجارية الكثير والكثير، فلن يمانع أبداً أن يجعلك من ضمن عُماله، خاصة وأنت أيضاً شاب تقي وورع وحامل لكتاب الله.

ينتفض عبدالله من مكانه، ويترك طعامه ويقول لعم سعيد:

- هيا بنا إذن يا عم سعيد نذهب إليه ونتحدث معه.

يضحك عم سعيد وهو يمسك بيده ليعيده لمكانه ويقول له:

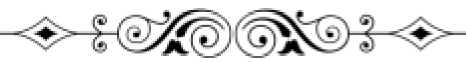
- فلتهدأ يا فتى، ألا ترى كم الساعة الآن، الساعة السادسة صباحاً، والشـيخ عمّار لا يخرج إلا في العاشـرة صـباحاً، وأنت أيضاً ألن تذهب لعملك الحكومي! أم تريد أن تسـتلم عمل الشـيخ عمّار وتُطرد من عملك ووظيفتك!

فيجلس عبدالله وهو يبتسم ويقول له:

- متى إذن يا عمّ! متى نُحدِّثه في الموضوع؟

يجيب عليه عم سعيد بابتسامة مُطمئنة:

- سـأفاتحه أنا في الموضـوع عندما أراه اليوم وبإذن الله تذهب إليه بعد انتهاء عملك في محلهِ الكبير الذي يدير منه كل مَحاله الأخرى،



فلتذهب أنت إلى عملك الآن ولا تقلق، عند عودتك سـأخبرك بما دار بيني وبينه وإن شاء الله تُقضى حاجتك.

ينفرج فمّ عبدالله عن ابتسـامة امتنان عريضـة، ويمسـك يد عم سـعيد ويحاول تقبيلها، لكن الأخير ينتزعها من بين يديه سريعاً وهو يُربت على كتف عبدالله ويقول له:

- ماذا تفعل يا ولدي! ما عاذ الله أن تفعل ذلك، أنت في منزلة ابني تماماً ووالدك رحمة الله عليه كان مثل أخي.

فيُقبِّل عبدالله رأس عم سـعيد ويسـتعد للنزول لعملهِ، ينزلا سـوياً وهما يتبادلان ثرثرة وضـحكات متقطعة حتى يصـلا للدور الأرضـي، فيجلس عم سـعيد على كرسـيه ويذهب عبدالله لعمله سـيراً على قدميه توفيراً لثمن تذكرة الأتوبيس الزهيدة.

أثناء جلوس عم سعيد كعادته يتأمل وجوه المارة، سمع اسمه يتردد بصوتٍ جهور يعلمه جيداً، فينتفض من مكانه وهو يقول:

- اللهم سَلِّم.. ماذا تريد هذه الشمطاء مني اليوم!

يرد النداء من مكانه بجوار السـلم وهو ينظر لأعلى، ليجد الآنسـة آمال بالدور الثاني أمام شقتها تصرخ عليه وتقول:

- اصعد حالاً يا سعيد.. حالاً!

ليصعد العم سعيد وهو يستعيذ من الشيطان الرجيم، ويدعو الله أن يَمُر اليوم على خير، ولكن كيف سيَمُر اليوم وأوله نداء وصياح من الآنسة آمال!



وصل لها وهي تقف أمام باب شقتها وخالها الأستاذ صبري يجلس على كرسيه أمام مائدة الطعام بالداخل هو والحاجة وفاء، ما أن وصل إليها العمّ سعيد حتى صاحت به وقالت:

- ما هذا التُّراب المُتراكم على السُلم! كيف تترك السُلم هكذا دون نظافة لمدة أسبوعٍ كامل! كيف أحافظ على نظافة شقتنا وكل هذا التراب خارجها؟

يرد عليها عم سعيد في عُجالة وكأنه يعلم أنها ستقول ذلك:

- والله يا ست آمال.. أرسلت في طلب "أم مصطفى" بالأمس ولكنها اعتذرت لأنها مريضة.

ردت عليه بما يشبه الصُراخ:

- فلتبحث عن أخرى لتقوم بتنظيف السُلم، السيدات اللاتي يبحثن عن عمل كثيرات، وأنا لن أنتظرها حتى تُشفى وتُردم شقتي بجبالٍ من التراب المُتراكم.

يتنهد عم سعيد ويستغفر ربه بصوتٍ خافت، ثم يقول لها:

- يا ست آمال.. أم مصطفى تعمل لدينا منذ خمسِ سنوات، وهي أرملة وتعول ثلاثة أطفال وقد مرضت السيدة من كثرة التعب والتحايل على الدنيا لجلب الرزق، فالواجب علينا مساعدتها وتحمُل فترة غيابها حتى تعود.



هنا.. تحولت ملامح الآنســة العجوز إلى ملامح أشـبه بمصــاصــي الدماء وكشّــرت عن أنيابها وهي تضــغط على أســنانها وتلَوّح بكلتا يديها وتقول له بعصبية:

- وها قد هبط الملاك سعيد على الأرض ليعطيني درساً في الإنسانية! مالي أنا وظروفها وأحوالها يا رجل! افعل ما تؤمر واجلب إحدى العاطلات لتنظف السُلم اليوم وإلا سأشكوك للأستاذ سيد مالك العقار ليتصــرف مع إهمالك وعدم رعايتك لشــئون المبنى، ألا يكفيك ذاك المصعد المُعطل منذ أسابيع وأنت لم تهتم ولم تُجلب لنا من يُصلحه، نحن ندفع لصيانة هذا المبنى مبالغ شهرية ليست بالقليلة ولا نجد خدمة بالمقابل!

هنا يقرر أن يتدخل خالها الصــامت منذ أول الحديث؛ لعلمهِ بما هو قادم بعد كل تلك الجُمل القاسية التي قذف بها لسان آمال وجه عم سعيد وقال:

- يا ســعيد.. فلتبحث لنا عن سـيدة أخرى تقوم بعمل أم مصــطفى حتى تُشـفى وتعود لعملها، ولتُفهم من ستأتي أن عملها هنا بشـكل مؤقت.

وقام بإخراج ورقة نقدية فئة العشــر جنيهات وقام من مكانه ليعطيها لعم ســعيد في يده وهو يُربت على كتفهِ لينصــرف دون أن يرد على آمال، حتى يغلق باب النزاع المُعتاد بينهما.

فينصرف عم سعيد وهو غضبان ويعطي ظهره لهما ويقول:

- حاضر يا أستاذ صبري، لأجل خاطرك فقط سأفعل.



تزداد آمال حنقاً عليه وتردد بصوتٍ عال يسمعه كل من بالبناية:

- ستفعل يا سعيد لأنه عملك، أنت رجل كسول ولا تُقدر المسؤولية وأنا لي كلام آخر مع مالك العقار بشأنك.

تدخل وهي تستشيط من الغضب، وتلوم خالها على أسلوبه الرخوّ معه، لتدخل الحاجة وفاء أختها في الحديث أخيراً تاركة طبق البيض الذي أمامها تلتهمه بشراهة منذ بداية الحديث وتقول:

- انتهينا يا آمال.. ماذا تريدين من سعيد هذا الرجل الطيب الذي لم يُقصِّر أبداً في عمله! أم أنكِ تتحججين بأي مشكلة لتتحدثي مع الأستاذ سيد مالك البيت!

قالت الحاجة وفاء جُملتها الخبيثة وعادت بكل برود لما تبقى في طبقها تلتهمه، في حين استشاطت آمال منها غضباً وضربت بكفّها العريض طرف الطاولة، فاهتز كل ما عليها من أطباق وأكواب وكأن زلزال قد زارها، وقالت:

- مالي أنا والأستاذ سيد، أنا لست مثلكِ أيتها العجوز الخرِفة، كلما أراه أتحدث معه واقف وأضحك على ما يقوله من تفاهات، أنتِ لا تتركين أحداً في البناية أو خارجها إلا وتستوقفيه لتثرثري معه، أما أنا فلا أُحدِّث أحداً ولا أثرثر مع كل من هبّ ودبّ.

تضحك الحاجة وفاء العجوز الخبيثة وهي تلتهم آخر ما تبقى في طبقها المُفضّل وتصمُت، وتذهب بعد ذلك للمطبخ لتعد لهم أكواب الشاي، تهدأ آمال قليلاً وتتناول طعام إفطارها بصمت، ويُكمل خالها طعامه صامتاً، حتى تعود الحاجة وفاء حاملة في يدها صينية الشاي، يتناول الجميع الشاي وتبدأ بعده معركة التنظيف اليومية التي تقودها آمال داخل الشقة



وخارجها، تراها وهي تطارد ذرّات التراب في الشقة كالجندي الذي يطارد عدوٌّ له أو مُحتّل يحاول طرده من أرضه..

هل الوحدة والفراغ هما اللذان جعلاها تعتاد على ذلك الهَوس بالنظافة! أم أن ذلك الهَوس المَرضي سببه لفت الأنظار؛ فهي تفتقر للشعور باهتمام أي أحد بها، ذلك لأن الجميع ينفر منها بسبب عصبيتها وردودها العنيفة وطباعها القاسية.

تستعد الحاجة وفاء للخروج لقضاء احتياجات المنزل اليومية والتسوق، وتبدأ آمال بترتيب وتنظيف المنزل، بعدما يرتدي خالهما ملابسه ليخرج يجلس على المقهى كعادته كل يوم.

روتينهم اليومي لا يتغير أبداً مهما حدث، لا يزورون أحد ولا أحد يزورهم؛ فهم آخر فرع في عائلتهم التي باعدت السنين والأماكن بينهم وبين أقاربهم من الدرجة الثانية والثالثة.

تبدأ آمال بحُجرات النوم، وهي عبارة عن حجرتين، واحدة بها سرير كبير لخالهما، والأخرى بها سريرين لها ولأختها، تراها وهي تُهندم الشراشف وتساوي المسافات بين الوسادة والأخرى فتتعجب.. يا لصبر هذه المرأة! تُعيد تنظيف كل شيء بالحجرة مراتٍ ومرات، ولا تترك ذرة تراب عالقة هنا أو هناك، ثم تخرج لحجرة الطعام وتفعل مثلما فعلت بحجرتي النوم دون كللّ أو مللّ، وتعرج على حجرة الضيوف التي قلّما فُتحت فتنظفها كذلك وتمشّط شعيرات السجاجيد وكأنها تمشط شعر طفلٍ صغير، أما المطبخ ودورة المياه والنوافذ فحدِّث ولا حرج، تنظيفهم اليومي كأنه وِردٌ مقدس لا تُقصر فيه أبداً.

(أريكة آمال المُفضلة)





تجلس بعد أن تنتهي من كل ذلك على أريكتها المُفضّلة المُغطاة بالمفارش النظيفة أمام شُرفتها وتضطجع على وسادتها تتناول فنجان قهوة وتنتظر عودة الحاجة وفاء التي تقضي ساعات بالخارج ولا تعود إلا بعد آذان الظهر، فهي اعتادت على ذلك؛ لأنها تقف عند كل بائع وبائعة لتثرثر معهم وتمازحهم وتعلم منهم آخر أخبار الحي، فتلك العجوز تعلم كل من في الحي صغير كان أوكبير.

أثناء ذلك كان عم سعيد يترقب نزول الشيخ عمّار للذهاب لعمله كالمعتاد، ليفاتحه في موضوع عبدالله ويتوسط له عند الشيخ عمّار لكي يساعده.

كان عم سعيد يعلم مدى كرم الشيخ عمّار، فهو - كما يعتقد - خيّر ورجلٍ تقيّ يُحب عمل الخير دائماً، فتراه في المناسبات الدينية يذبح الذبائح، ويقيم الولائم، ويوزع الصدقات على المحتاجين، ومن جانبٍ آخر كان عم سعيد يعلم أنه لو طلب منه أي شيء - لا يخالف شرع الله - سيُلبيه له الشيخ الطيب؛ فمنذ عدة سنوات كان عم سعيد سبباً في إنقاذ ولده طلحّة من حادثٍ مُفجع كاد يودي بحياته، حيث كان طلحّة ما زال طفلاً يمتلك من سنوات العمر سبع سنوات فقط، وعند نزوله من أتوبيس المدرسة أمام بوابة البناية، وقع الصبي وهو يهبط من الأتوبيس ولم يره إلا عم سعيد فجرى عليه وهو يصرخ في السائق ألا يتحرك، وبالفعل في لحظاتٍ معدودة كان حاملاً الصبي ومبتعداً به عن عجلات الأتوبيس قبل أن يتحرك السائق الذي ما أن رآه يصرخ ويشير له حتى أوقف السيارة وعلم بما كان سيحدث للطفل، وعندما علم الشيخ عمّار ذلك من زوجته - التي كانت تصرُخ من



شُــرفة منزلها وهي تراقب المشــهد الذي حدث في ثوانٍ مرت عليها ســاعات وشُـلت حركتها من الرعب، فما كان من الأم المسـكينة إلا الصُـراخ - نزل فوراً لعم ســعيد يشــكره ويكافئه بالمال ويؤكد عليه أن يطلب منه ما يشــاء فداءً لولدهِ وجزاءً له على ما فعله، إلا أن عم ســعيد رفض كل ذلك وقَبِل فقط المال بعد إلحاح شـديد من الشـيخ عمار، منذ ذلك الوقت والعم سـعيد في مكانة خاصة عند أسرة الشيخ عمّار بأكملها.

بالفعل نزل الشيخ في تمام العاشرة كالمعتاد، وألقى التحية والسلام على عم ســعيد، وقبل أن يذهب لسـيارته اسـتوقفه عم سـعيد وطلب منه مطلبه الذي قوبل بترحابٍ من الشــيخ عمّار وأعطى له "كارت" يحمل اسـم الشـيخ وميعاد يذهب بهما عبدالله لمحل من محلات الشــيخ عمّار ويُعطي "الكارت" لمدير المحل وسـيحصـل فوراً على وظيفة مناسـبة براتبٍ مُجزي، شـكره عم سعيد كثيراً، فربت على كتفه الشيخ عمّار وقال له:

- لا شكر على واجب أيها الطيب، فجميلك ما زال مطوقاً لعنقي.

يبتسـم العم سـعيد خجلاً وهو ينظر لموضـع قدميه، ثم يعيد شـكر الشـيخ عدة مرات وهو مُنصرف عنه، يعود عم سـعيد لمجلسـه وهو مختالاً بنفسـه فخوراً، يتخيل وجه عبدالله عندما يعود ويرى بطاقة الأمل مع عم سعيد.

سُــرعان ما تبددت ابتســامته عندما ســمع صــوت آمال تناديه مرة أخرى، فقال وهو يهرول للداخل للرد عليها:



- اللهم خيراً... بالتأكيد وجدتْ ذرة تراب هاربة منها وتريد مني أن أقبض عليها وهي تنزل السُلم لأعاقبها على تجرؤها اقتحام المَعزل المُعقّم الذي تسكن داخله سيدة المُطهرات الأولى.

صاحت به وهي تقول:

- أما زلت هنا أيها الكسول المُهمِل! كيف سنحيا وسط تراب خط بارليف هذا!

وقبل أن يَرُد عليها ظهر الأستاذ سيد، يفتح باب شقته متأنقاً كعادته ورائحة عطره النفاذ تسبق ظهوره، لترتبك آمال وتتراجع خطوة للخلف قبل أن ينظر الأستاذ سيد عالياً لمصدر الصوت وتعيد ترتيب شعرها، ثم تعاود في الظهور بجوار السُلم أمام شقتها وتبتسم وهي تُلقى عليه تحية الصباح بصوتٍ مُغاير تماماً لما كان يسمعه قبل قليل، فيَرُد عليها تحية الصباح ويقول:

- ما الذي يضايق ست البنات؟!

تتورد وجنتيها وكأنها فتاة في الثامنة عشر من عمرها، فور سماعها جملته تلك، وترد بصوتٍ ناعم لا يسمعه أحد سوى الأستاذ سيد عندما يُحدثها:

- لا شيء سوى كسل سعيد وعدم اتيانه ببديلة لأم مصطفى لتنظف السلم، وأنت تعلم يا أستاذ سيد كم أهتم بالنظافة.

يبتسم وهو يقول:

- طبعاً يا ست البنات، فشقتكِ دائماً نظيفة، سيُنفذ طلبك في الحال، فلا يصح أن نؤخر لكِ طلباً.



بينما هذا العزف النشـــاز يُعزف بين رجُلٍ متصـــابي وعجوزٍ عانس، كان عم ســـعيد يتأفف ويتمتم وينظر مرة له ومرة لها وهو يتعجب، ولكن الأســـتاذ سيد قام بوخزة في ساقه بقدمهِ حتى يهدأ ويُمرر الموقف.

"الأســتاذ ســيد كان معتاداً على أن يُســمع الأنســة آمال وأختها الحاجة وفاء كلاماً معســـولاً مُحبب لهما بين الحين والآخر أو كلما صـــادف واحدة منهما، من باب المجاملة أو جبراً للخاطر، وكانت تســـتقبله الأختان بترحاب الأرض العطشى لبعض الماء، ولكن عندما توفيت زوجة الأستاذ سيد، تراقص الأمل في مُخيلة آمال وتمَنّت أن يطلبها للزواج، خاصة أنه وحيدٌ الآن وهم يسكنون عنده منذ أكثر من عشـرين عاماً، وأيضـاً كلامه المعســـول كان يداعب قلبها البِكر الذي لم يعترف بتقدُم عمرها حتى الآن، لذلك كانت تتحين الفُرص لتتكلم معه، وأحياناً كانت تُســـقط بعض قطع الملابس في حديقته الداخلية لمجرد أن تُنادي عليه وتراه، فيُســـمعها بعض الجُمل المُحببة لها كأنثى لم يمسسها ذكر طوال عمرها الطويل، أما الأستاذ سيد فكان يعتبر كلامه معها نوعٍ من أنواع الشـــفقة وفقط، فهو يعلم كم هي عصـــبية وقاســـية الطباع، ناهيك عن هوســـها المَرضـي بالنظافة، وهو لا يريد أن يُعكر صـــفو هدوءه، وإذا قرر الزواج فســـيتزوج شـــابة جميلة رقيقة، لا عانس فاتها قطار الزواج منذ عقودٍ كالآنسة آمال"

اســـتأذنت بهدوءٍ مُفتعل وخجل لا يليق بملامحها القاســـية ودخلت شـــقتها، وقام هو بمسح الابتسـامة المُتكلفة من على شـفتيه عندما تأكد من دخولها، ليلتفت لعم سعيد ويقول له:

- ألم أُنّبه عليك يا سعيد مئات المرات أن تُلبي طلبات شقة الأستاذ صبري دائماً دون أن تجادلهم! هذه الأسرة كالصداع النصفي لو تَمَلّك رأسي سأظل طوال عمري في توتر وقلق، رجاءً يا سعيد.. فلتأتي لها بمن تريد ولا تشغلني بتلك الصغائر.

يهز سعيد رأسه بالإيجاب وهو يضحك بصوتٍ خافت على منظر العشق الممنوع هذا الذي كان يراه منذ قليل ويقول له:

- حاضر يا أستاذ سيد حاضر، سآتي لها بمن تريد ولكن حتى تُشفى أم مصطفى وتعود لعملها فقط، السيدة مريضة ولا ينقصها قطع رزقها أيضاً.

يُربت الأستاذ سيد على كَتف عم سعيد ويقول له:

- يا لشهامتك يا رجل! ستظل هكذا دائماً مخلصاً وتحافظ على "العيش والملح"

ويخرج من جيبه حافظة نقوده، وينتزع منها بضع وريقات نقدية يدُّسها في يد عم سعيد وهو يقول له:

- فلتأخذ هذا المبلغ وتعطيه لأم مصطفى وتخبرها عن استعدادي لتحمل نفقة أي علاج لها حتى تسترد صحتها.

يبتسم العم الطيب ويدعو للأستاذ سيد بالصحة والعافية ويشكره.

ينصرف الأستاذ سيد بعد ذلك، ليذهب لأصدقائه في ناديهم الاجتماعي القريب كالمعتاد، ويعود عم سعيد لكرسيه، يُخرج هاتف محمول بسيط وصغير الحجم من جيب جلبابه ويعبث به قليلاً، ثم يتكلم حين يُجيب الذي



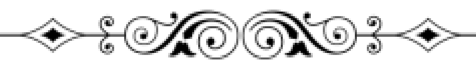
اتصل به ويقول له أن يبعث له بسيدة لتقوم بتنظيف سُلم العمارة مرة أو مرتين فقط حتى تُشفى السيدة التي تعمل معه، ثم يشكره ويحُثه على سرعة الاستجابة.

يُغلق هاتفه ويعيده بين طيات ملابسه، فتنادي عليه الحاجة صفاء لشراء طلباتها كالمعتاد.

كانت الظهيرة على وشك الاقتراب، تعجب قليلاً من تأخُر نداء الحاجة صفاء، وعندما صعد سألها عن سبب التأخير ليطمئن عليها، فتخبره أن طلبات اليوم قليلة ولا تحتاج إلا للقليل من المكونات التي تنقصها، فيطمئن ويذهب مباشرة لشراء الاحتياجات المطلوبة.

تعود الحاجة وفاء حاملة حقيبة قماشية بداخلها كل ما يحتاجه المنزل وتصعد ببطء، وتقابل في طريق صعودها الدكتورة عُلا ابنة الحاجة صفاء وهي في طريقها لجامعتها، تُلقي عليها السلام وتعرض عليها توصيل حقيبتها لباب الشقة، فتوافق الحاجة وفاء مع ابتسامة عريضة، وتثرثر معها عن أحوال دراستها وأحوال أمها وأخيها بفضولٍ ليس بجديد على أيٍ من سكان العقار؛ فكل السكان يعلم مدى حُب الحاجة وفاء للثرثرة.

تصل الفتاة لباب الشقة وتحمد الله على الوصول في قلبها، لتخلُصها أخيراً من الثرثرة والاستجواب والفضول، وتقابل الحاجة وفاء وهي تصعد بتأني خلفها، تودعها مُسرعة متحججة بتأخرها على محاضراتها، تهرب الفتاة قبل أن تنتظر كلمة أخرى من السيدة العجوز الثرثارة وتختفي، تطرق الحاجة



وفاء باب الشــقة، فتفتح لها آمال وهي عابســة وتلومها على التأخير كالعادة، ثم يدخلا سوياً لإعداد طعام الغداء.

كالمعتاد.. تخرج شيرين بكامل أناقتها للنادي، ويعود بعد قليل من ذهابها عم ســعيد ليعطي الطلبات للحاجة صــفاء ويأخذ منها ما لذّ وطاب من طعامٍ وفاكهة.

يعود لجلســته.. وبعد مرور ســاعة من الزمن تأتي له ســيدة ثلاثينية رقيقة الحال، يبدو من مظهرها أنها بعُمر الخمســين، ترتدي جلباباً أســود اللون وتحيط شــعرها بغطاء رأس أســود اللون أيضــاً، يتبقى على وجهها بعض الحُســن الذي قد نجح في إزالة الكثير منه الزمان والتعب والعمل الشــاق، فلم يتبق منه سوى أطلال حزينة مُحاطة بهالات الفقر والجوع، وتقول له:

- أنا نِعمة .. أرسلني عم صلاح صاحب المقهى..

وقبل أن تُكمل قال لها عم سعيد:

- نعم.. نعم، هل أعلمك صلاح أن عملكِ هنا مؤقت؟

أجابت بالإيجاب، فســألها عن أُجرتها المُعتادة في تنظيف مثل هذه البناية فأجابت:

- كما ترى يا عمّ، أنا لن أجادلك؛ فأنا بحاجة ماسة للنقود.. أي نقود ولن أرفض ما ستعرضه عليّ مهما كان.

ينظر لها عم ســعيد بشــفقة ويســألها عن عملها الأســاسـي، وهل هي مُعتادة على ذلك العمل أم لا، وأخذ يتحدث معها ويسمع منها حتى علم عنها الكثير...



هي زوجة لعاملٍ بسـيط، كان يعمل في مصـنع للأسـمنت وهي كانت بمنزلها ترعى ابنتها الوحيدة، حتى مرض زوجها مرضٌ عُضـال بالرئة منذ سـنتين ولم يعد قادراً على العمل، ولم يأخذ من المصنع أي معاش أو مكافأة تساعده في وقت مرضـهِ الذي تسـبب به عمله، ولم تنجح هي في أن تُعالجه على نفقةِ الدولة رغم سعيها وطَرقها جميع الأبواب التي غُلِّقت في وجهها، ودخل مشفى حكومي ولكنه بعد أيامٍ قليلة من دخوله طردهُ العاملين بالمشـفى بحجة أنه قد تلقى العلاج اللازم ولم يعد بحاجة للمكوث وشَغل سريرٍ دون داعي، رغم عدم تلقيه أي علاجٍ يُذكر وبالكاد مرّ عليه طبيب مرة واحدة ولم ينظر له ولا حتى سـمع توسـلات نِعمة زوجته المسـكينة، ووقّع على إذن خروجه وأمر الممرضـين أن يخرجوهما بالقوة! ومنذ ذلك الحين وزوجها المسـكين طريح الفراش بحجرتهما المتهالكة بمنطقة (غيط العنب) لا يقوى على الحركة، وهي تخرج للبحث عن العمل حتى صادفت سيدة لا يختلف حالها عنها كثيراً، فعرّفتها بعمّ صـلاح صـاحب المقهى الذي يعمل كسـمسـار و "مخدماتي" ويعرف الكثير من حارسـي العقارات في المنطقة، وتصـادف وجودها عنده وعم سـعيد يُحدّثه هاتفياً بعد أن أنهت عملها في بناية قريبة منه، وذهبت إليه لتطلب منه المزيد من العمل؛ علّها تسـتطيع جمع ثمن دواء الصـدر لزوجها المريض وثمن بعض الطعام لها ولابنتها الصغيرة.

استمع سـعيد لحديثها الموجِع وهما يصعدان سُلم البناية ورقّ قلب الرجل لحالها؛ فربت على كتفها وأخذ يدعو لها بالرزق الحلال، أطلعها عم سـعيد



على طبيعة كل شقة، خاصة شقة آمال وحذرها من عدم اتقان نظافة هذا الدور بالذات وأحضر لها أدوات النظافة الخاصة بالسُلم وتركها لعملها.

خلعت نعمة جلبابها الأسود، وتركته في مكانٍ آمن من الماء والأتربة وصعدت لآخر البناية وبدأت العمل، قامت بكنس السُلم كله، وما أن انتهت من كنسهِ حتى صعدت مرة أخرى للدور الأخير وأخذت تطرق باب كل شقة لتحصل منها على وعاء به ماء لتبدأ في تنظيف السُلم، بدأت بشقة الشيخ عمّار، فتحت لها زوجته أم مُعاذ بودٍ وأخرجت لها وعاء الماء بنفسها ووقفت معها قليلاً قبل أن تشرع في عملها، علمت منها اسمها وعرّفتها بنفسها وتركت الباب مفتوحاً قليلاً ربما احتاجت نِعمة المزيد من الماء ودخلت، أعدّت الحاجة أم مُعاذ لنِعمة كوباً من الشاي ووضعت بجواره قطعتين من الكعك وزجاجة مياه مُثلجة صغيرة وخرجت لها، نادتها لتشرب الشاي قبل أن تُكمل عملها فاعتذرت منها نِعمة، ولكن السيدة الحنون أصرّت على جلوسها وتناولها الشاي والكعك أولاً، فابتسمت نِعمة لكرمها وحنانها ووافقت، مسحت يديها بجلبابها الواسع ذو الألوان الباهتة وتناولت منها الشاي وجلست تشربه، تركتها ودخلت السيدة أم مُعاذ؛ حتى لا تتحرّج منها وتتناول الطعام بحريتها، وفور دخولها تذكرت زجاجة المياه التي نسيت أن تعطيها لها فخرجت بها إليها، لترى المسكينة تضع قطعتي الكعك في منديلها القماشي وتلفهما وتتمتم:

- ستطير نِسمة فرحاً عندما ترى هذا الكعك الشهيّ.



فتتراجع الحاجة أم مُعاذ للخلف على الفور قبل أن تراها نِعمة، وعينيها قد تراقصت داخلهما دمعتين مُشفقتين على حال المسكينة التي حرمت نفسها من أن تتذوق الكعك وتركته كاملاً لابنتها، أسرعت لمطبخها لتضع لها بعض الكعك والفاكهة والشكولاتة الفاخرة في عُلبة بلاستيكية، ثم تركتها لتعطيها لها عندما تنتهي من عملها.

خرجت لها بعد قليل حاملة بعض الفاكهة وزجاجة مياه وأعطتهم لها وهي تسألها عن أحوالها، لتجيب نِعمة عليها باقتضاب وهي مُنهمكة في عملها، أنها أمّ لبنت وحيدة اسمها (نسمة) تبلغ من العمر عشر سنوات وزوجها مريض وطريح الفراش، ليذوب قلب الحاجة أم مُعاذ ألماً وعطفاً عليها وتقرر أن تعطيها أجرها وزيادة.

تنتهي نِعمة من الدور السادس، لتنزل للدور الذي يليه وقبل أن تنزل وتترك السيدة الكريمة، أكدت عليها أم مُعاذ أن تصعد لها بعد أن تنتهي من عملها.

طرقت باب شقة الدور الخامس لتفتح لها الباب الحاجة صفاء وتتعرف عليها هي أيضاً، وتُحضر لها بعض المخبوزات الخفيفة مع كوباً من العصير الطازج، تتعجب نِعمة من كرم سكان هذا العقار، وتُردد داخلها..

"ما زالت الدنيا بخير، لم أر طوال سنتين مثل هؤلاء السكان! كم أتمنى أن آتي إليهم دائماً، ولكن كيف أهرب من حظي السيء، فعملي مؤقت حتى تعود صاحبة العمل الأصلي، ولكن.. الحمد لله على كل حال، على الأقل سأرتاح قليلاً وسأعامل كإنسان حتى تعود السيدة الأخرى من مرضها، اللهم اشفها



سريعاً، فكلنا فقراء وفي حالة عَوذ دائمة، وأكرمني يا الله بمثل أولئك السكان في مكانٍ آخر"

تنتهي من حديث نفسها وأيضاً من العمل بالدور الخامس، لتهبط للدور الرابع وتطرق الباب ولكن ما من مجيب، تُعيد الطرق مرةٍ أخرى ولا مجيب، فتصعد للحاجة صفاء لتسألها ماذا تفعل، وسكان الدور الرابع غير متواجدين، فتبتسم الحاجة صفاء وتقول لها:

- لا تشغلي بالك يا نِعمة، سأحضر لكِ وعاء آخر من الماء، فالسيدة ماريان تعمل هي وزوجها ولا يوجد بشقتهما أحد حالياً.

تشكرها نِعمة على كرمها وتأخذ منها الماء وتستأنف عملها في الدور الرابع حتى انتهت منه، هبطت بعده للدور الثالث وحدث ما حدث في الدور الذي يسبقه، طرقت الباب وما من مُجيب، تحرّجت أن تصعد مرة أخرى للحاجة صفاء، وأيضاً صعودها للدور الخامس لتعمل في الدور الثالث كان مشقّة بالنسبةِ لها، ففضّلت أن تطرق باب شقة الدور الثاني وتأخذ منهم الماء للدورين الثالث والثاني، وبالفعل طرقت باب شقة الدور الثاني لتفتح لها الباب الحاجة وفاء وتبتسم لها وتتفحصها وتسألها من تكون، فتجيب نِعمة وتطلب منها الماء للدور الثالث لأنها لم تجد به أحد، و يا ليتها ما طلبت؛ فبمجرد سماع آمال كلمة الدور الثالث حتى انتفضت من مجلسها مُسرعة لباب الشقة وصوتها يسبقها:

- وما شأننا نحن بالدور الثالث! كل شقة مسؤولة عن نظافة سُلمها، أنتعب نحن ونُخرج الماء وأصحاب الشقة يجلسون بالنوادي



ويســتمتعون بـأوقـاتهم! فلتتركي هـذا الـدور كمـا هو حتى تعود صاحبته وتتعلم أن خروجها ليلاً ونهاراً لن نتحمل نحن تبعاتهِ.

نظرت لها نِعمة بكل اندهاش! فما ســبب كل هذه الثورة والمســألة كلها وعاء من الماء زيادة عن الوعاء المطلوب! لم تنطق نِعمة ببنت شــفة وصــعد عم سعيد مُسرعاً على صوت آمال كالمعتاد، وقال لنِعمة:

- لا عليكِ يا ابنتي، سأحضر لكِ أنا وعاء الماء وسأصعد لكِ به للدور الثالث.

تشكره نِعمة وتقول له:

- لا تتعب نفسك يا عمّ، سأهبط أنا وآخذه منك.

وتتمتم بينها وبين نفسها..

"كالمُعتاد.. لي في كل خرابة عفريت! الحلو أبداً لا يُكتمل، أنا أعلم الناس بحظي الذي يُشبه وجه هذه البومةِ الشمطاء"

تهبط معه لتأخذ منه الوعاء وتســأله عن هذه الســيدة العجيبة المُحتدة، فيجيبها بصوتٍ خافت:

- هذه "أمنا الغولة.. سيدة المُطهرات الأولى"

ويبتسم، لتبتسم وراءه نِعمة دون تعليق، تأخذ الماء وتُكمل عملها في صمت.

انتهت نِعمة من عملها، وعلمت مع انتهائها الكثير والكثير عن ســكان العقار وطباعهم المختلفة، صــعدت كما وعدت للحاجة أم مُعاذ فأعطتها أُجرتها - كما اعتاد ســكان العقار، كل شــقة تدفع أُجرة تنظيف سُــلمها - فأخذت نِعمة أجرتها وزيادة من الحاجة أم معاذ ومع أجرتها حقيبة ورقية بداخلها



العُلبة البلاســتيكية التي أعدتها لها ســابقاً، تشــكرها كثيراً وتهبط للحاجة صــفاء فتعطيها أجرتها وتشــكرها، وتهبط للدور الثاني مترددة، وتطرق الباب برفق مُتمنية ألا يُفتح، فتفتح لها آمال الباب وتقول لها أن أُجرتها كأُجرة أم مصــطفى ولا زيادة فيها، فتأخذها في صــمتٍ وتهبط مُسـرعة، يدفع لها العم سعيد أُجرة الدور الرابع والثالث وأيضاً أُجرة شـقة الأستاذ سيد مضاعفة، لأنه اعتاد أن يدفع الضــعف لأجل مدخل البناية، ويؤكد عليها قبل أن تنصـرف وهي ترتدي جلبابها الأســود في عُجالة أن تأتي له هنا مباشــرة ثلاث مرات في الأســبوع، ويقول لها عن أنســب ميعاد للمجيء وهو وقت قبل الغروب؛ لتضمن وجود معظم سكان البناية في شـقهم، تشكره وتنصرف سعيدة ومُسرعة.

يظهر من بعيد عبدالله عائداً من عملهِ مهرولاً، وكأنه ينتظر حدث ســعيد، يصــل لعم ســعيد صــامتاً وعينيه كلها رجاء، فيرســم العمّ علامات الخيبة ويدّعي الحزن، فيطأطئ عبدالله رأسه في خيبة أمل ويقول:

- لا عليك يا عمي، أنا أعلم حظي في هذه الدنيا، قدر الله وما شـــاء فعل.

فيبتسم عم سعيد ويُخرج من جيب جلبابه بطاقة الشيخ عمّار ويقول له:

- الرجل رحّب يا ولدي، وأبلغ مدير محله أن ينتظر مجيئك له اليوم في السادسة مساءً، فلا تتأخر عليه وتحرجني معه.



طار عبدالله من مكانه والتقط البطاقة بكلتا يديه وأخذ يُقبلها مراتٍ ومرات وهو يشكر عم سعيد ويضُمه إليه، فضحك عم سعيد من فعلتهِ الطفولية وكأنه طفلٌ كبير أتى له والده بقطعة حلوى يشتهيها.

عزم عليه العمّ الطيب بتناول طعام الغداء معه كالعادة، ولم يرفض عبدالله أيضاً كالعادة، ثم صعد لحُجرته ليرتاح قليلاً ويستعد للميعاد الحاسم لمستقبله.

ذهب عبدالله في الميعاد المُحدد له وقابل مدير المحل (الأستاذ بيومي) أعطاه بطاقة الشيخ عمّار، فأخذها منه ونظر إليه مُتفحصاً وكأنه يُخضعه لكشف هيئة، وقال له:

- الشيخ عمّار قد أعلمني بحضورك بالفعل وأوصاني عليك كثيراً ولكن... ماذا تريد أن تعمل في محل عطارة وأنت موظف بالأوقاف كما علمت منك؟!

رد عليه عبدالله وقال:

- أي عمل يا أستاذ بيومي، فأنا بحاجة ماسة للعمل وقد تم نقلي للإسكندرية منذ أيام قليلة وحضرتك تعلم مدى غلاء المعيشة في المدينة.

فتفحصه مرة أخرى وقال له:

- حسناً.. حسناً، ستعمل هنا معي في الحسابات، ولنرى مدى اتقانك واخلاصك في العمل.



يشكره عبدالله كثيراً ويعده بالتفاني في العمل، ويتفق معه على كل التفاصيل ومواعيد العمل والمُرتب الذي سيتقاضاه وكل شيء، ليخرج من عنده عبدالله وكله أمل في الحياة، ويمشي بطُرقات المدينة الساحرة ليلاً، يتأمل كل المارة والمحلات المضاءة ويحلم بالثراء.

(مطعم تريانون بمحطة الرمل)





يقف أمام مطعم شهير بمحطة الرمل ويتأمله من الخارج، ثم ينظر للجالسين بداخلهِ ويعد نفسه بأنه سيدخل هذا المكان الفاخر وسيجلس داخله ويطلب أشهى وأغلى الأطعمة قريباً.

يعود للبناية ويحكي لعم سعيد كل ما حدث ويستأذنه ليصعد حجرته لينام، وأثناء صعوده رأى السيدة شيرين بكامل أناقتها وهي تُغلق باب شقتها، تستعد لسهرتها اليومية مع صديقاتها، ويتصادف أن يسمع مكالمتها الهاتفية في نهايتها وهي تقول لصديقتها أنها ستقابلها في "مطعم تريانون" فيبتسم داخله وكأنها إشارة له من السماء بأن حلمه سيتحقق عما قريب وسيصطحب مثل تلك الحسناء معه.

يتحَرّج من النظر لها ويداعب أنفه رائحة عطرها الأنثوي النفّاذ، فيخطف نظرة سريعة لها قبل أن تنتبه لوجوده وهي تنهي مكالمتها، ويطأطئ رأسه قبل أن تلتفت له، نظرت له وهي تستغرب ملامحه، فلم يُصادفها قبل اليوم، فتسأله:

- هل أنت من سكان العقار أم زائر لإحدى السكان! فهيئتك لا تدل على أنك عامل توصيل طلبات المنازل، أكيد أنت أحد أقارب أسرة الشيخ عمّار.

يرد عليها وما زال نظرهِ موضع قدميه:

- لا.. بل أنا عبدالله أسكن بالحُجرة التي بسطوح العقار منذ يومين فقط، وأعمل بوزارة الأوقاف.



تبتسم له وهي تتأمل هيئته وجسده اليانع الصارخ بالرجولة، وتُكمل هبوطها دون كلام، فيقف الشاب يتنسّم عبيرها الذي ظل مُعبئاً للمكان رغم رحيلها عنه، ويمسح قطرات من العَرق سالت على جبينه، فهو لم يعتاد بعد على حياة المدينة ولا نساءها المُتحررات.

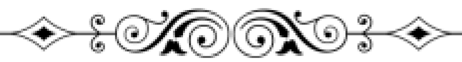
يصعد ولم تفارقه نبرة صوتها الأنثوي ولا جمالها الصارخ، ولكنه استعاذ من شيطان شهوته وقال في نفسه:

- ما لك يا شيخ عبدالله! ألم تر نساء من قبل، فلتجتهد وتحقق ثروة وبعد ذلك ستأتي لك الجميلات يخطبن ودّك.

ينام عبدالله وهو يحلم بمستقبلٍ صعب المنال، وينتهي اليوم وتبقى الأبواب الخلفية لحياة عبدالله تُداعب مُخيلته حتى بأحلامه؛ فقد زارته الفاتنة التي صادفها اليوم في أحلامه وكانت أكثر ودّاً وعطاء، لم تبخل عليه أحلامه كما تبخل عليه دنياه، عاش مع زائرة حلمه ساعاتٍ وساعات من المُتعة حتى استيقظ مفزوعاً يتصبب عرقاً على دقات باب حُجرته، ليقفز من مكان نومه ويهندم ملابسه قبل أن يفتح لعم سعيد كالمعتاد، يُدخله ويستأذنه أن يذهب لدورة المياه ليتحمم ويبدِّل ثيابه قبل أن يجلس معه ويتناول الإفطار.

يعود بعد قليل، وأثناء تناولهما الطعام يسأله الشاب - الذي ما زال حلم الأمس يسيطر على عقله - عن ساكنة الدور الثالث، فيترك عم سعيد قطعة الخبز التي كان سيتناولها ويقول له:

- وما مناسبة تلك السيرة الآن يا ولدي! لقد أفقدتني شهيتي بسؤالك هذا سامحك الله.



يرد عليه عبدالله ويقول:

- لقد صادفتها أمس وأنا في طريقي لحجرتي وتذكرت أنك قُلت لي أنها متزوجة ولديها ابنة، فكيف تتركها وتخرج في مثل هذا الوقت من الليل بتلك الملابس المُتبرجة!

يرد عليه عم سعيد وعلامات الضيق تظهر على وجهه:

- هذا الذي رأيته هو بعضٍ مما أرى أنا منذ أن أتت تلك الحمقاء وسكنت البناية مع زوجها منذ سنوات، كانا حديثي الزواج ومكث معها زوجها شهورٍ قليلة قبل أن يتركها ويسافر لبلدٍ يعمل بها، ثم أنجبت ابنتها واستمر الحال هكذا، يأتي زوجها إجازة قصيرة كل عام أو عامين، وهي كما رأيت يومها وليلها بالخارج، ولا تهتم بما يقال عنها في البناية أو في المنطقة كلها، ولا تراها في شقتها إلا أثناء إجازة زوجها القصيرة.

يصمت عبدالله ويكتفي بتلك المعلومات، ويهبطا سوياً ليذهب لعمله، وقبل أن يغادر قال لعم سعيد:

- لا تنتظرني اليوم، فإنني سأذهب مباشرة لعملي الآخر، لقد اتفقت مع الأستاذ بيومي أن أبدأ عملي من اليوم.

يستوقفه عم سعيد ويدُسّ في يده بضع وريقات من النقود، ويقول له:

- إذن.. فلتأخذ تلك النقود معك، حتى تشتري بعض الطعام، ولترُدّهم لي بعد أن تحصل على راتبك بإذن الله.



يشـكره عبدالله كثيراً، ويخجل من تصـرُف الرجل الطيب، فيُربت على كتفه عم سعيد ويقول له:

- هيا يا ولدي، فلتذهب لعملك حتى لا تتأخر.

اسـتمر حال البناية على هذا المنوال أسـابيع... حتى أتى يومٍ ومرض الأسـتاذ صـبري وانتقل للمشـفى بعد أن تدهورت حالته الصـحية كثيراً واحتجزه الأطباء لعمل جراحة عاجلة بالقلب، وبالفعل قام بإجرائها، وزاره بعدها أغلب سـكان البناية، حتى عاد لمنزله بعد أسـابيع أخرى ولكنه ظل مريضـاً طريح الفراش، وتدهورت صحته، رغم رعاية ابنتا أخته له وتُوفي قبل حلول شـهر رمضـان بأيامٍ قليلة، قام الأسـتاذ سـيد بكل ترتيبات الجنازة وتجّمع سـكان البناية يواسـيان الأختان اللتان زاد يُتمهما ووحدتهما بموت خالهما، ورغم أنه كان قليل الكلام إلا أن الجميع كان يحبه ويحترمه، وأثناء العزاء الذي أقامه الأستاذ سيد للرجال في شقته - وجعل عزاء السيدات في شقة الأسـتاذ صـبري لتسـتقبل الأختان المُعزيات - نزل عبدالله ليقوم بواجب العزاء، وبعد أن انتهى صـعد لحجرته، ورآها أثناء صـعوده وهي تجلس بين المُعزيات في مدخل شـقة الفقيد، وهي ترتدي فسـتاناً أسـود اللون يزيد من جمال وجهها وجاذبيتها، فنظر لها وهي أيضـاً نظرت له، بل اسـتأذنت وانصرفت بحُجة أنها تترك ابنتها وحيدة بشـقتها، فتلحق به وهو صاعد وهي أيضاً صاعدة، تستوقفه وتقول:

- علمتُ أنك أزهري، أليس كذلك!



أجابها بنعم وهو ينظر موقع قدميه، فعرضت عليه أن يُعطي لابنتها دروساً في الدين ويُحفّظها القرآن، فنظر لها وقال:

- لكني أعمل عملاً إضافياً ولا أعود منه إلا في وقتٍ متأخر من الليل.

ترد عليه وتقول:

- لا بأس.. فلنجعل الدرس يوم إجازتك الأسبوعية وقتما شئت، وسأعطيك ما تريد من المال.

فرح عبدالله كثيراً من ذلك العرض السّخي، فهو سيستمتع بالنظر لتلك الحسناء وسيحصل على مالٍ إضافي أيضاً، فوافق على الفور وقال لها:

- حسناً.. فلنبدأ من الأسبوع القادم، وسيكون الشهر الكريم قد بدأ وسيزداد الثواب بقراءة القرآن فيه بإذن الله.

تشكره وتدخل شقتها ويُكمل هو طريقه إلى حجرته وهو يقفز على سلالم المنزل كالمُراهق الذي فاز بمقابلة حبيبته تواً، وهي أيضاً كانت تبتسم وفجأة.. تجَهّم وجهها وقالت في نفسها:

- ما هذا الذي أفعله! ومن هذا الذي أهتم به وأطلب منه أن يدخل بيتي وأتحجج بابنتي لأراه! منذ متى وأنا أهتم بشئونها وحريصة على تعليمها أصول الدين، بل ومنذ متى وأنا أهتم بالرجال أو أعطيهم اهتماماً من الأساس!

كان هذا التصرف منها عجيباً حقاً؛ فكم من الرجال الذين حاولوا أن يلفتوا نظرها وهي لا تلق لهم بالاً، بل وتسعَد حينما تهملهم وتهينهم سعادة بالغة، اعتبرت هذا الاهتمام المفاجئ لُعبة لتضييع وقت فراغها، حتى ترتاح وتُسكت



كل تلك الأصوات داخلها، دخلت لحجرتها وتحسست مضجعها البارد الذي يزيدها تعاسة، وتأملت نفسها بالمرآة ثم استسلمت للنوم.

****

مع بداية شهر رمضان تتغير ملامح الحياة الروتينية في البناية، فيمكُث معظم سكانها بشققهم صباحاً ولا يخرج منهم سوى المهندس هاني وزوجته، والشيخ عمّار، أما باقي سكان البناية فيفَضّلون المكوث نهاراً والخروج ليلاً، كالأستاذ سيد الذي يقضي معظم نهار رمضان نائماً، والسيدة شيرين التي لا تخرج إلا ليلاً وتعود مع آذان الفجر من الخيّم الرمضانية التي تقضي بها معظم الوقت، وأيضاً شباب البناية، كانوا يفضّلون المكوث بالمنزل ويتابعون دروسهم ليلاً بعد الإفطار.

أما عبدالله.. فكان مُنهمكاً في عملهِ الجديد، يريد أن يُثبت كفاءته بشتى الطُرق، وبالفعل بعد أسابيع قليلة استطاع أن يكسب ثقة الأستاذ بيومي وأصبح لا يناديه إلا بـــ " يا شيخ عبدالله " وبدأ أيضاً في إعطاء دروس الدين لإنجي التي استسلمت لرغبة أمها بعد أن اعترضت وثارت دون فائدة؛ فأمها قررت وعليها الرضوخ.. استقبلت أول درس من الشيخ عبدالله بضيقٍ شديد، وهو شعر بذلك وحاول أن يُخفف عنها ويطمئنها بأنه سيراعي انشغالها بواجباتها المدرسية وسيعطيها معلومات قليلة حتى تعتاد ذلك، ثم تبدأ معه رحلة حفظ القرآن.



كانت الأم تجلس بمقربة منهما، تتصفح هاتفها وتسترق النظر له أحياناً، تتلاقى أعينهم حين يفعل مثلها، فيتحَرّج من موقفه ويبعد نظرهِ عنها، لتبتسم هي بداخلها وتشعر برغبتهِ فيها.

"السيدة شيرين... لم تكن امرأة لعوب كما يبدو عليها وعلى مظهرها وطريقة حياتها، ولا فكّرت يوماً بخيانة زوجها رغم بُعدهِ عنها بالسنين والأشهر، لكنها كانت تستمتع بنظرات الإعجاب لها، وتجد في كلمات الإطراء التي تنزل على أذنيها كالسيل - في كل مكان تكون به - البديل للحرمان العاطفي الذي تحياه، فتستمتع بنظرات الإعجاب المجانية التي تحصل عليها ولا تُعطي مقابلاً لها، فتشعر بنشوةِ انتصار، وكانت تتندّر بمثل هذه الحكايات مع صديقاتها لتعلو ضحكاتهن، ويُثار بهذه الضحكات كل من يسمعهن في أماكن وجودهن، أما بالنسبة لنظرتها لعبدالله، ذلك الشاب المليء بالحيوية والشباب البِكر، كانت أغلب الظن حالة من الجنون ومحاولة إشباع غرورها عن طريق شاب موجود دائماً تحت نظرها، تستطيع أن تراه في أي وقت وبأسباب لا غُبار عليها، فهو سيدخل شقتها ولن يستطيع أحد أن يتهمها بشيء، لأنه يُعلِّم ابنتها بأجرٍ ولن يخطر ببال أحد أنها ستنظر لمثلهِ وهو الذي يسكن حُجرة متواضعة بسطوح البناية وهي من هي من سيدات المجتمع"

كان شهر رمضان بالنسبة للحاجة صفاء أيضاً مختلف؛ فطلبات زبائنها تتضاعف نظراً لولائم الشهر الكريم، وكانت ابنتها تساعدها في بعض الأحيان في تجهيز الطعام ولكن ها هي عُلا في السنة النهائية بكُلية الطب ولا تستطيع ذلك، وابنها كان يساعد في توصيل الطلبات وفقط، فطلبت



الحاجة صــفاء من نِعمة - وكانت قد توطدت علاقتهما وعلمت منها بظروفها كلها في المرات المُتكررة التي حضــرت فيها لتنظيف السُــلم - أن تســاعدها في إعداد الوجبات بأجرٍ، ففرحت نِعمة كثيراً بذلك الطلب ووافقت مُرحبة وشاكرة للسيدة العطوفة التي كانت تُجزِل عليها العطاء كلما حضرت البناية للعمل..

كان عم ســعيد يذهب كل أســبوع كعادته ليطمئن على أم مصــطفى ويعطيها من النقود ما يُعينها هي وأولادها الثلاثة في مرضــها الذي طال، وعندما ذهب هذه المرة لبيتها المتواضع لم يجد به أحد! سأل عنها جيرانها، فأخبروه أنها قد ماتت منذ خمســـةِ أيام، فحزن عم ســعيد كثيراً على تلك المرأة الطيّبة المُضّــحية والتي أفنت عمرها كله من أجل أولادها، ثم ســألهم عن أولادها، فعلم منهم أن أقرباء زوجها المتوفى حضروا وأخذوهم معهم لبلدتهم ليعيشوا هناك.



سُعاد...

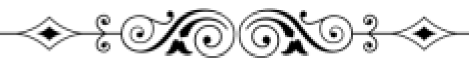


عاد عم سعيد حزيناً، ليتلقى خبراً أشد حُزناً مما تلقاه منذ قليل.. اتصلت عليه زوجته لتقول له أن خِطبة ابنته الوسطى (سُعاد) قد فُسخت من قِبل خطيبها بدون سبب، ليحزن الرجل ولكنه يتمالك نفسه ويقول لها باقتضاب:

- لا تحزني وأخبري ابنتك أن كل شيء نصيب.

عاد لعمله وهو لا يرى أمامه سوى صورة ابنته وهي تبكي حظها، فيتحطم قلبه حُزناً عليها، فسُعاد هي ابنته الوسطى بعد ابنته الكبيرة (أمينة) التي تزوجت من ابن عمها واطمئن عليها، وقبل ابنه الوحيد (محمد) الذي يقضي خدمته العسكرية الآن بعد أن حصل على شهادة الدبلوم الزراعي، وسُعاد قريبة إلى قلب أبيها؛ لما تمتلكه من طيبة وحنان فطري، فهي تُشبه أمها كثيراً في الصبر والرضا، وأيضاً في الملامح؛ فهي فتاة خمرية اللون، وجهها يحمل من ملامح الطيبة والهدوء أكثر مما يحمله من حُسن وجمال أنثوي، متوسطة الطول وشعرها أسود طويل وناعم، جسدها نحيل بعض الشيء، عندما حصلت على الشهادة الإعدادية، مكثت بالبيت ولم تُكمل تعليمها وفضّلت أن تساعد أمها بشئون البيت، وتُعين أخيها في زراعة القيراط الذي يمتلكه أباهما بجوار منزلهم الصغير.

مر شهر رمضان وذهب عم سعيد أول أيام العيد لبلدته، مُحملاً بالهدايا لجميع أسرته، وعانق ابنته التي ما أن رأته حتى ارتمت بين أحضانه تبكي، لينهيها أبيها عن فِعل ذلك ويُغدق عليها الهدايا، فتبتسم وتنسى حُزنها بعودةِ



أبيها.. أمضى عم سعيد يومه بين الأهل والأحِبّة وعاد في الصباح الباكر لعمله، ودّعت سُعاد أبيها بالدموع ووعدها أبوها بزيارة قريبة.

أمضى عم سعيد باقي أيام العيد على كرسيه الخشبي لا يُبرحه إلا لو سمع نداء أحد سكان العقار، عرج عليه عبدالله مساءً وهو يرتدي ملابس جديدة وفاخرة، وطلب منه أن يَقبل دعوته على العشاء الذي أتى به من أشهر وأفخر محلات الطعام في المنطقة، ليقبل عم سعيد دعوته ويصعد معه ليتناولا العشاء سوياً.

أثناء تناولهما الطعام، لمح عبدالله وجه عم سعيد وهو حزين وليس كعادتهِ، فهو لا يمازحه ولا يقُصّ عليه حكايات السكان، فاستنتج أنه ما زال غاضباً منه لأنه وافق على إعطاء ابنة السيدة شيرين دورس في الدين وهو يعلم أنه لا يحبها، فقال له:

- أما زلت غاضباً مني يا عمّ بسبب موضوع مدام شيرين؟!

ينتبه له عم سعيد ويقول له نافياً:

- أبداً يا ولدي.. هذا رزقك الحلال، ولعل وجودك معها هي وابنتها سبب لهدايتها.

يبتسم عبدالله لكلماتِ العمّ المُطمئنة، ويستفسر منه عن سر عبوسه الغريب! فيحكي له عم سعيد عما حدث لابنته، ليرد عليه عبدالله:

- لعلهُ خير يا عمّ.. لعلّ الله يُخبئ لها الأفضل.

هنا.. نظر له عم سعيد وكأنه يراه لأولِ مرة وكأن كلمات الشاب أصابت كبد الحقيقة وأصابت معها أُمنية وُلدت في تلك اللحظة، وقال:

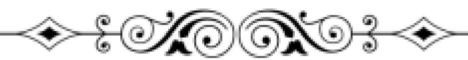


- صدقت يا ولدي.. صدقت.

انشـرح صـدره وتناول طعامه بشـهيّة وعاد لسـيرته الأولى ومازحه كثيراً حتى انتهيا من تناول الطعام والشـاي أيضـاً، ونزل بعدها عم سـعيد لمكانه وترك عبدالله ليرتاح.

في طريق نزوله.. دار في عقله كلام الشـيخ عبدالله عن ابنته، وطلب من الله أن يجعل لها نصيباً معه، فهو يعرفه ويعرف أهله الطيبين، ولم يُقصِّر معه منذ أن جاء للبلدة، ليعقد العزم على أن يُحدِّث زوجته صـباحاً ويطلب منها تجهيز نفسـها للحضـور له هي وابنته سُـعاد، علّ عبدالله يراها فتعجبه ويطلب يدها منه، ويتفق معها أن تستعد لزيارته في أي وقت وسيبلغها باليوم المناسب لذلك.

في تلك الليلة التي لم تنته بعد، وبعد أن نزل عم سـعيد وترك عبدالله، رنّ هاتف عبدالله فوجدها مكالمة من السـيدة شـيرين، التي اعتادت أن تتحدث معه أحياناً منذ أن انتظم في إعطاء ابنتها الدرس، فبعد أن كان مرة واحدة في الأسبوع أصبح الدرس يوماً بعد يوم، وازدادت نظرات شيرين له، وأغدقت عليه المال بحُجة أن ابنتها قد تقدمت في فهمها لأمور الدين، وتحسـنت لغتها العربية كذلك، وبالفعل هذا ما حدث؛ فعبدالله مُدرس ومُعلم ماهر يمتلك من أدوات توصـيل المعلومة بطريقة مُبسـطة الكثير، وأيضـاً هو ذكي لأبعد حدّ، واسـتطاع أن يتقرّب من ابنتها وجعلها تسـعد بدرسـهِ وانتظاره في بعض الأوقات، أما شيرين فكانت تقاوم رغبتها به بشتى الطرق ولكن شيطانها غلبها في تلك الليلة، واتصلت به هاتفياً وهي في حالة من الضعف الأنثوي المُشتاق



لضـمّةِ رجُلٌ مثله، فطلبت منه أن يسـتقبلها فهي سـتصـعد له لتسـتنشـق بعضٍ من هواء الليل العليل، ولا تريد أن تجلس وحدها، ليرتبك من طلبها الذي يتمنى أن تفعله ويقول لها:

- ولكن.. ماذا لو رآكِ أحد!

فترد هي:

- لن يحدث.. مَن مِن سكان العقار يصعد للسطوح خاصة في مثل ذلك الوقت من الليل، أم أنك لا تريد أن تراني!

ليرد عليها بلا تفكير:

- أنا أتمنى رؤياكِ.

فتغلق الهاتف بعد أن أعطاها الرد المناسب لتستسلم لشيطانها كُلياً تصعد له، استقبلها وأحضر لها كرسيه الوحيد وأجلسها خارج غرفته، لتجلس قليلاً، فتراه يتأمل وجهها فتبتسم له، وتقوم من جلستها وتقترب من باب غرفته وتقول:

- أهذه غرفتك!

فلا يجيب، وتدخل هي دون إذن منه، وتتأمل الغرفة المتواضعة، فتراه خلفها مباشرة يشتم رائحة عطرها الأخاذ، فتستدير ليتواجها وجهاً لوجه، فتشعر بأنفاسه الساخنة، ويشعر هو أيضاً برعشة جسدها المُشتاق فيضمها له ويُقبّلها ودون أي مقدمات يحملها ويُغلق باب غُرفته، ويقضي معها ليلته على مخدعه الحديدي الصغير، يروي عطشها وتُشبع رغبته حتى أشرقت شمس الصباح، استفاقت من سكرةِ عشقها الحرام على ضوء الشمس الذي



تسرب لها من بين فتحات نافذة الغرفة، وأبعدته عن جسدها العاري تماماً لترتدي ملابسها في عُجاله، لينتبه هو أيضاً ويرتدي ملابسه، تودّعه بقُبلة وموعدٍ آخر وهو يبتسم لها ابتسامة انتشاء لا اكتفاء، وتخرج مُسرعة قبل أن يستيقظ أحداً من سكان العقار أو يصعد عم سعيد له كالمعتاد.

تدخل شقتها وترتمي على مخدعها وهي تتنهد وتتلوى عليه وكأنها مخمورة وتتحسس جسدها الذي ما زال مُحتفظاً بمذاق المُتعة ومرتوي عن آخره من ليلتها تلك، وتغُطّ في نومٍ عميق، أما هو فيرتمي على مخدعه يتلّمس منه رائحتها التي ملأت الغرفة ويُقبل الوسادة التي كانت تنام عليها ويحتضنها ويغوص هو الآخر في بحرٍ من النوم والاكتفاء المؤقت والنشوة.

تكررت اللقاءات بينهما كل يوم طوال إجازة العيد، وفي آخر يوم إجازة له، قال لها وهو يحتضنها في مخدعه:

- كيف سأراكِ بعد اليوم، فأنا سأعود لعملي من صباح الغد ولن أعود إلا ليلاً، وعم سعيد يصعد كل يوم لنتناول الفطور سوياً في تمام السادسة صباحاً!

لترد عليه:

- سأراك ليلاً كالمعتاد وأهبط قبل شروق الشمس.

يبتسم لها ويحتضنها ويغرقا سوياً في بحر عشقهما حتى الصباح، استمر الحال هكذا شهور، حتى هاتفته شيرين يوماً، لتُبلغه أن زوجها سيصل غداً ليقضي معها إجازته السنوية، فيثور عليها عبدالله وكأنه هو زوجها، فتُهدئ من ثورته بكلماتِ عشقٍ معسولة حتى يهدأ ويستسلم للأمر الواقع، وبالفعل



انقطعت عنه حبيبته، فكان كالذي أدمن مُخدراً وانقطع عنه، ثم انتبه لمُخططه الذي أهمله قليلاً بسبب غرقهِ في الغرام، ولكنه عاد واستعاد تركيزه وانتبه للعمل وتحقيق أهدافه.

كان قد أثبت كفاءة في عمله بمحل الشيخ عمّار واستطاع أن يلفت نظر الشيخ له بمظهره الأزهري ولحيته وذكاءه واجتهاده بعملهِ، وأيضاً بأمانتهِ، فانتقل للمحل الكبير الذي يُشرف عليه الشيخ عمّار بنفسه، وطلب منه الشيخ أن يتولى هو كل المُعاملات المالية، وبالفعل في غضون أسابيع قليلة كان قد استحوذ على كامل ثقة الشيخ عمّار، وأصبح يصطحبه معه في كل مكان، وعرّفه على شيوخه في الجماعة السلفية، وطلب منه الانضمام لصفوفها، فوافق عبدالله على الفور؛ فهو يعي جيداً من أين تؤكل الكتف، وأخذ يتقرب من الشيوخ ويُغدق عليهم بالثناء والمديح حتى أصبح له مكانة مُقَرّبة منهم جميعاً.

اجتهد في عمله الأساسي أيضاً وتعرّف على بعض زملاء العمل وكان منهم الشيخ (أحمد) الشاب الأزهري اللطيف، جمعته هو وعبدالله صداقة رغم اختلاف الطِباع؛ فأحمد مُكتفي بوظيفته ولا يأمل إلا في الزواج والاستقرار والهدوء، أما عبدالله فطموحه كان جامحاً، ولا يفكر في الزواج، خاصة بعد أن تعمقّت علاقته بشيرين واكتفى بها في الوقت الراهن، فهي لا تُكلفه شيء، بل على العكس هي من تُغدق عليه بالمال والهدايا.

مرت إجازة زوجها وعاد لعمله في البلد الذي يعمل بها، وعادت هي لأحضان حُجرة السطوح، حتى جاء يومٍ وأحضر عم سعيد زوجته وابنته سُعاد إلى



البلـدة الكبيرة؛ ليراهـا عبـدالله، علّـه يطلبهـا من أبيهـا ويريحـه – ذلـك كان السـبب الخفي – أما سُـعاد فكانت تظن أن زيارتها لأبيها لأنه يريد أن يُخفف عنها حزن عدم إتمام زيجتها، ففرحت بقدومها للمدينة، وعند وصـــولها هي وأمها احتضنت أبيها ثم دخلت غرفته..

كانت غرفة عم سعيد بجوار السُلم في الناحية المقابلة لشقة الأستاذ سيد، غُرفة مُهندمة تحوي مخدع كبير وفي مقابله أريكة خشـبية ضـخمة، أمامها منضـــدة خشـــبية موضـــوع عليها دائماً صـــينية عليها فنجانيّ قهوة وعلبتيّ للســـكر والقهوة وموقد صـــغير، ثم دورة مياه صـــغيرة ونظيفة، يليها مطبخ صغير به موقد وثلاجة صغيرة وبعض الأواني.

انتظر عم سعيد وصول عبدالله على أحّر من الجمر، فقد كانت زوجته تعلم بنيّة زوجها وأحضرت معها وليمة تليق بالزوجِ المُنتظر، حضر بالفعل عبدالله في تمام العاشـرة مسـاءً ليرى عم سـعيد يقف بانتظاره والبسـمة تملأ وجهه البشوش، ألقى عليه عبدالله السلام فاستوقفه عم سعيد وقال له:

- أنـا في انتظـارك منـذ فترة طويلـة، أنـت معزوم على عشـــاءٍ فـاخر بالداخل، وزوجتي أم محمد هي وابنتي سُـعاد من جهزتا كل شـيء، فلتدخل يا ولدي لتتعرف عليهما وتتناول معنا العشاء.

تحَرّج عبدالله من كرم عم سـعيد واسـتشـعر أن الأمر أكبر من مجرد دعوة عشــاء، ونظر في ســاعة يده وتذكر موعد شـيرين، لكنه لن يسـتطيع رفض دعوة الرجل الطيب، فابتســم له ودخل معه حجرته التي كانت تنتظره على بابها أم محمد زوجة عم ســعيد بابتســـامةِ ودّ وترحاب، نظر لها عبدالله



وتعَجّب.. كم تُشـبه والدته في الهيئة والبشـاشــة والطيبة الفطرية! سـلّمت عليه السيدة بترحاب، وأدخلته فجلس على الأريكة، ثم نادت على سُعاد التي خرجت من خلف سـتار يفصـل بين الحجرة والمطبخ، فطلب منها والدها أن تقترب وتُسـلم على الشـيخ عبدالله، فتحَرّجت الفتاة وتسـمّرت مكانها لينظر لها عبدالله نظرة خاطفة ويسـلِّم عليها، فترُد السـلام وتختفي بالداخل، بعد قليل.. تنهمك هي وأمها في وضـع الطعام على المنضـدة أمام عبدالله وأبيها ثم يتركاهما لتناول الطعام ويدخلا للمطبخ ليعدا لهما المشـروبات والشـاي فور انتهائهما.

فرغ عبدالله من اِلتهام الوليمة بكل ما بها من أصـناف متعددة - فقد كان أكولاً ويحب الطعام - فنادى عم سعيد على سُعاد لتزيل الأطباق من أمامهما وطلب منها إعداد الشـاي، ليعتذر عبدالله ويسـتأذنه في الصـعود لحجرته بحجة عمله في الصباح الباكر، فيتمسك عم سعيد به ويقول له:

- لابد أن تتذوق الشاي من يد سُعاد ابنتي؛ فهي أمهر من بُندق صبي قهوة عم صلاح.

ليضحكا ويجلس عبدالله رغماً عنه، وينظر في هاتفه فيجد اتصالاً مُكرراً من شـيرين، ثم رسـالة على تطبيق "الواتس آب" تخبره أنها صـعدت ولم تجده، وأنها غضـبت كثيراً من فِعلته تلك، يقرأ الرسـالة في عُجالة ويغلق الهاتف، ويعود لثرثرة عم سعيد التي لا تنتهي.

يتناول الشـاي ويلقى السـلام على السـيدة وابنتها ويثني على جودة طعامهما، وينظر لسُعاد ويشكرها على الشاي ويتمنى لهما وقتاً طيباً في زيارتهما، ويخرج



مع عم سعيد فيُسلم عليه ويشكره على كرمه، ويتركه ويهرول من أمامه باستعجال.

عندما وصل للدور الثالث وقف قليلاً، وبعث لشيرين برسالة يقول لها أنه بالخارج أمام باب شقتها، ولن يبرح مكانه إلا بعدما ترد عليه وتسامح على تأخيره، فتفرح وتقفز من على مخدعها وتفتح بابها ببطء وتربُص، فتجده أمامها مباشرة، تنهره مُبتسمة وتشير له أن يصعد وهي ستصعد وراءه، فينفذ أمرها على الفور لتصعد هي بالفعل بعد قليل، ويقضيا سوياً ليلتهما حتى شروق الشمس.

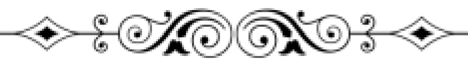
في الصباح.. يخرج معظم السكان كالمعتاد ويذهب عبدالله لعمله، وفي طريقه يرى سُعاد وهي تُصلي داخل حجرة أبيها، يسعد بذلك المشهد كثيراً، ويشعر ببعض الخِزي عندما تذكر ليلته الفائتة وكيف كانت بين أحضان عشيقته، يخرج من بوابة البناية وهو يخاطب نفسه ويقول:

- لقد أنستك جميلتك فرض الله يا شيخ عبدالله، منذ أن دخلت حياتك وأنت هجرت صلاتك، أنت بالفعل تحتاج لإعادة حساباتك، فهذا الطريق سيُفقدك الكثير.

يقرر بين نفسه أن يتركها ثم يعود فيقول:

- ولكن.. كيف لي أن أتركها وأنا المستفيد من تلك العلاقة، وأشعر أني رأيت جمال الدنيا على يديها!

يحتد الصراع داخله بين تركها والاستمرار معها، حتى يصل لمقر عمله ويقابل صديقه الشيخ أحمد، الذي كان يعلم عنه الكثير، فأحمد صديقٌ



وفيّ بكل معنى الكلمة، ناصح أمين، عندما نظر لعبدالله علم ما به من صراع فقال له:

- الآن يا صديقي.. الآن وفقط شعرت أن دعائي لك بالهداية بإذن الله وفضله في صلاة الفجر كل يوم بدأ يُستجاب.

يرد عليه عبدالله وهو هائم في ملكوته:

- أي دعاء هذا يا أحمد؟! دعك من دروشتك تلك وانصحني.. أريد أن أترك طريق المعصية وأنتبه لمستقبلي، فماذا أفعل؟!

يتعجب منه صديقه ويسأله:

- ولم الآن؟! ما الذي جَدّ لتقرر ذلك؟!

فيحكي له عبدالله كل شيء حدث بالأمس، ليضحك أحمد ضحكة عالية ويقول له:

- سُعاد... هي العروس إذن.

يتعجب عبدالله من كلام أحمد ويقول له:

- عروس مَن أيها الخَرِف! أنا أقول لك أريد البُعد عن النساء، تقول لي عروس! أجننت أيها الدرويش؟

ليرد عليه أحمد وهو ما زال يضحك:

- أيها الأبله.. أبيها يعرض ابنته عليك، وأنت تقول أن الرجل له عليك ما لا يُعد ولا يُحصى من العطايا، وهي بنت طيبة وجميلة وأيضاً تؤدي فروضها، فلمَ لا! لمَ لا تأخذها لتحميك من الخطيئة وهي نِعم الزوجة والأم لأولادك، ووالدها له الكثير من الفضل عليك،



فلا تحرمه من نجاح مُخططه وهو لن يكلفك شـيء، وهذه الزيجة ستجعلك تعود لطريق الله.

يتعجب عبدالله.. كيف لم يرَ كل هذا وهو واضح وضوح الشمس! ويقرر أن ينفذ نصيحة صديقه الناصح الأمين ويطلب يدها من أبيها.

بالفعل.. عندما عاد من عمله ليلاً، طلب من عم سـعيد أن يُحدثه في أمرٍ خاص، لتنفرج أسارير وجه عم سعيد ويقول له:

- فلتتكلم يا ولدي، أنت مثل ابني محمد، لا تخجل من شيء.. تكلم.

يطمئن عبدالله ويقول له:

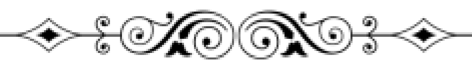
- كما تعلم يا عمّ.. أحوالي بدأت في التحسُن بفضل الله ثم بفضلك عليّ، وأنا أريد الآن أن أستقر ويصبح لي زوجة صالحة، ولن أجد زوجة أصلح لي من ابنتك.

يبتسم الرجل ملئ وجهه ويقول له:

- أنت ولدي وهي ابنتي، وبذلك قد عوضها الله خير بك يا ولدي الحبيب.

يقوم من مجلسه ويحتضنه، وينادي على زوجته ليخبرها، فتطلق المرأة "زغرودة" عفوية ثم تهرول لداخل الحجرة وتخبر ابنتها التي توردت وجنتيها خجلاً، يجلس الرجل مع عبدالله داخل الحجرة، وتقوم زوجته لإعداد الشاي لهما وتتركهما يتحدثا..

- طبعاً أنت تعلم يا عمي كل شـيء عني وتعلم عن أحوالي الكثير، وتعلم كذلك أني لن أستطيع أن أُدبر مسكن يليق بكريمتك الآن.



يقاطعه عم سعيد ويقول:

- من طلب منك مسـكناً يا ولدي! لتتزوجا في حجرتك حتى تتحسـن أحوالك بإذن الله، وسنقوم بتوضيب الحجرة وفرشها وستصبح بذلك تليق بك وبالعروس.

ينهض عبدالله من مكانه ويمسك يد عم سعيد ليُقبلها ويعاهده أنه سيبذل قصارى جهده ليسعد ابنته، يقرأون الفاتحة جميعهم، ويتفق الرجلان على كل التفاصيل وميعاد الخِطبة وعقد القرآن، يتركهما عبدالله والفرحة تتراقص داخل أعينهم جميعاً بعد أن صمم عم سعيد أن يتناول معهم عبدالله طعام العشاء، فهو الآن لم يعد غريباً عن أهل بيته.

في طريق صعوده، يرى رسالة من شيرين فيتجاهلها ويصعد، ولأول مرة يقضي ليلته دونها ورغم ذلك ينام نوماً هانئاً ويستيقظ قبل آذان الفجر، فيتوضأ ويهبط ليصليه بالمسجد كما كان مُعتاداً قبل أن يعرفها.

(القديسة تماف إيريني)





تخرج أســرة المهندس هاني كالمعتاد، يذهب هو لعملهِ بشــركة مِعمار كبيرة وشــهيرة، وتذهب ماريان إلى عملها بالكنيســة القريبة من البناية (كنيســة القديســة تماف إيريني) حيث تعمل كمُربية في روضــة للأطفال مُلحقة بالكنيسة.. كانت ماريان أماً مثالية ومُربية حنون، يحبها كل أطفال الروضة، جميلة الملامح والروح، بيضاء اللون ممشوقة القوام، شعرها الأشقر يزيد من جمالها، هادئة ومُحبة للجميع، تنشر الودّ والمحبة أينما وجدت.

في هذا اليوم طلب منها مُراد ابنها أن تســتريح في المنزل ولا تذهب للعمل؛ لأنها كانت مُتعبة ليلة أمس ولم تنم جيداً، لكنها رفضــت وأصّــرت على الذهاب، فأطفالها أمانة يجب أن ترعاهم، فهي كانت تعشق القديسة (تماف إيريني) وتُنفذ ما تســتطيع من أقوالها التي تحفظها وتُرددها دائماً، وتحاول أن تنول رضــاها وشــفاعتها ببذل كل جهدها لخدمة الكنيســة وأطفالها وتعليمهم وتهذيب أخلاقهم، كانت صورة القديسة تتصدر مدخل شقتها وهي محاطة بالعذراء مريم ومبتسمة، فهي قدوتها ومُعلمتها الأولى.

بالفعل أوصــلها زوجها في طريقه لعملهِ كالمُعتاد ودخلت الكنيســة لكنها لم تخرج منها إلا جثة للأسف الشديد.. ما أن دخلت لمكان عملها حتى سمعت دويّ انفجار هائل في ساحة الكنيسة وفي مكان القُداس، فقد كان يوم الأحد وكانت الناس مُجتمعه لإقامة قُداس الأحد كالعادة، العدد كان كبير جداً، علاوة على عدد أطفال الروضة وخُدّام المذبح والكنيســة، تبع هذا الصوت المدوي حريق هائل اِلتهم كل من بطريقه ولم يرحم أطفال في عمر الزهور كانوا منذ لحظات قليلة يملأون المكان بالضــحكاتِ البريئة، عمّ المكان كله



هرج ومرج وتدافُع وألسـنة دخان ولهب حاصـرت الجميع، الصـرخات تعلو لأقصى مدى لها في الحناجر قبل أن تخفُت رويداً رويداً ثم تصمُت وللأبد.

تجمّع أهالي المنطقة كلهم وحاول كل منهم إنقاذ ما يمكن إنقاذه من هؤلاء الأبرياء المحاصـرين داخل مبنى الكنيسـة، وكان من بين هؤلاء الأهالي عم سـعيد الذي حاول الوصـول لداخل المبنى الذي يحترق، وعندما دخل هو وبعض الأشـخاص وجد ما لا تطيقه عين أن ترى.. جُثث لأطفال مُتفحمة، أشـلاء مُتناثرة، دماء تملأ الأركان والحوائط، ألسـنة من الدخان الخانق، أنّات وصرخات جرحى يستغيثون للنجاة من الموت المُحقق.

حاول الجميع إخراج من يمكن إخراجه من الجرحى، حتى أتت أخيراً عربات المطافئ والإسـعاف وبدأت في إخماد الحريق الذي قضـى على معالم المكان بالكامل، وبدأت عربات الإسـعاف بنقل الجرحى والمصـابين والجثث إلى المشـفى، حضـر زوج ماريان مُسـرعاً عندما علم بالحادث وفور وصـوله خرّ راكعاً على قدميه يبكي ويصـرخ باسـمها يحاول أن يطمئن عليها دون جدوى، رآه عم سـعيد وهو يخرج من المكان يسـتند عليه عامل بالكنيسـة كان قد أُصيب لكن إصابته طفيفة، فأجلس الرجل وتركه لرجال الإسـعاف، وما أن رآه هاني حتى هرول عليه متوسـلاً يسـأله عن زوجته وهل رآها وهل هي بخير أم لا! فيُربت الرجل على كتفه ويقول له كذباً أنه لم يشاهدها.

كذب الرجل الطيب على الزوج المكلوم؛ لأنه لم يسـتطع أن يخبره أن زوجته قد لقت حتفها وكانت من أوائل الجُثث التي خرجت من المكان، لم يتركه عم سـعيد وهو يسـأل عنها رجال الإسـعاف والمطافئ، فقالوا له أن يذهب للمشـفى، فكل الجثث والمصابين هناك الآن، يُسرع هاني إلى المشـفى بعد أن انضـم له ابنه فور عِلمه بالحادث ويذهبا معاً إلى المشـفى، ليعلما هناك أن



جُثة الزوجة والأم الحنون تقبع داخل ثلاجة الموتى في انتظار من يتعرف عليها.

يومٌ حزين في البناية والحي والمحافظة، بل وفي جميع أنحاء البلاد، فقد قضى الحريق على حياة خمسين شخصاً بينهم عشرة أطفال في عمر الزهور لم تتفتح بعد.

ساند كل من بالبناية الزوج المكلوم والابن الذي فقد أمه الحنون، حتى الشيخ عمّار قام بواجب العزاء وقدّم كل ما يستطيع ليساند كل من أصيب في هذا الحادث المأساوي، هذا الحادث رغم قسوته لكنه كان الحُجة التي استطاع من خلالها عبدالله أن يبتعد قليلاً عن شيرين، التي علمت منه بعد أكثر من اتصال أنه لا يجب أن تصعد إليه في تلك الظروف خشية أن يقابلها أحد، خاصة وأن هاني ومُراد بعد موت ماريان كانا يصعدان في بعض الأوقات للسطوح فُرادى أو مع بعضهما البعض ليبتعدا قليلاً عن الشقة بكل ذكرياتها.

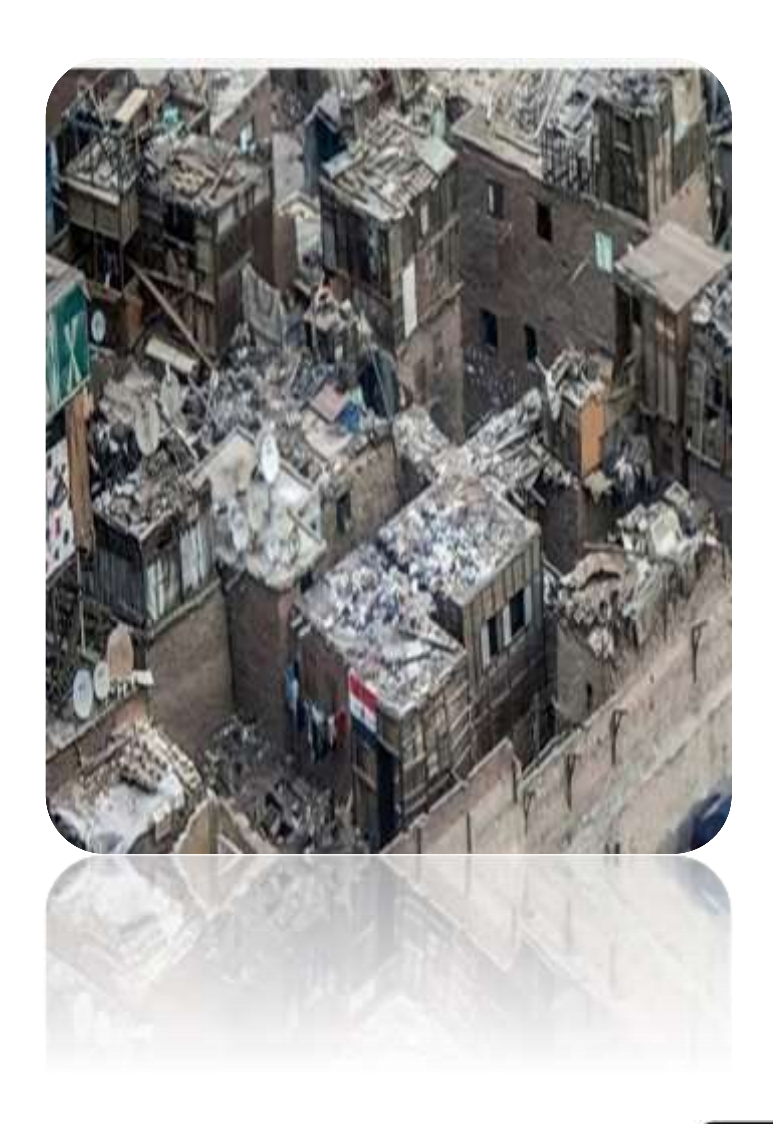
وكأن الأحزان تأبى أن تأتي فُرادى، وكأن لعنة الموت قد أصابت البناية أو مَلك الموت اعتاد على زيارتها؛ فبعد وفاة الأستاذ صبري بأشهُرٍ قليلة مرضت الحاجة وفاء مرضاً شديداً وباتت طريحة فراشها تقوم على خدمتها أختها آمال وتساعدها في ذلك نِعمة.. نعم نِعمة التي تقرّبت من جميع سكان البناية بلا استثناء بسبب حُسن تعامُلها وبشاشة وجهها وكلامها الطيب، فكانت تساعد الجميع دون انتظار المقابل، ولكنهم كانوا جميعاً يجزلون عليها العطاء، فبعد أن كانت تأتي يوماً واحداً أو يومين في الأسبوع لتنظيف سُلم البناية باتت تأتي يوماً بعد يوم، ثم أصبحت تأتي كل يوم لتساعد الحاجة صفاء في مطبخها، ولتقضي للحاجة أم مُعاذ بعض حاجياتها، واستعانت بها شيرين لتنظيف شقتها كذلك؛ لما رأته من نشاطها وبشاشتها، حتى الأستاذ



ســيد كان يســتعين بها لترحمه من طعام (عم متولي) الذي يخدمه، وشــقة المهندس هاني كانت الراحلة زوجته تستعين بها أيضاً، وبعد أن تنيحت أصبح يستعين بها الزوج والابن لقضاء احتياجات المنزل ولإعداد الطعام الاسبوعي له ولابنه مُراد.

أما آمال فكان وضعها مُختلف بعض الشيء؛ فبسبب طِباعها القاسية كانت نِعمة تهابها، لكن بعد موت خالها الأستاذ صبري أصبحت نِعمة تتقرب منها وتعرض عليها خدماتها، ومع الوقت لانت لها وكشــفت عن قلبها الطيب وســمحت لنِعمة بالدخول لشــقتها، خاصــة عندما مرضــت أختها الكبرى فكانت تحتاج لمن يســاندها في ذلك ولم تبخل نِعمة أبداً بخدمتهما واعتبرت مساندتها لهما من باب التقّرُب لله، فرغم فقرها وشقاءها كان قلبها وفطرتها ســليمة، ترعى المحتاج وتســاند قدر اســتطاعتها كل من يســتحق المســاندة، ليس فقط في البناية محل عملها ولكن أيضــاً في محل ســكنها بمنطقة (غيط العنب) حيث كانت المنطقة عشــوائية والبنايات قديمة ولا يوجد بها أي خدمات، ونسبة الفقر والمرض بها عالية جداً تكاد تكون جميع بيوتها تتحايل على الدنيا للتعايُش..

(منطقة غيط العنب، حيث تسكُن نِعمة)





مُعظم سكان تلك المنطقة من المسيحيين الفقراء، يعملون أعمالاً بسيطة كعُمال وعاملات وجامعي قمامة أو كسائقي "توكتوك" البنايات جميعها متهالكة أو شبه متهالكة، عبارة عن حُجرات متلاصقة سقفها من الخشب أو المعدن الصدئ المُتهالك لا تقي من الحرّ ولا تحمي من البرد، الطُرقات يغطيها القاذورات والقمامة مُختلطة بماء الصرف الصحي التي ضجّت منها البنايات فطردت بعضها للشوارع الضيقة، عسى بذلك الطرد أن تقلل من كميتها في مداخل البيوت التي كان معظمها يُشبه حمامات السباحة الصغيرة مع فارقٍ بسيط أن به حجارة ليعبُر عليها أصحاب المنزل من خارجه لداخله، فأصبحت تلك الحجارة من عُمّار تلك البيوت وجزء لا يتجزأ منها.

كان المرض والفقر والجهل يفتِك بسُكان تلك المنطقة ولا يعلم عنهم أحد، وكأنهم ليسوا جزء من هذا المجتمع ولا حقوق لهم، فتعايشوا جميعاً مع أوضاعهم اللاإنسانية وتعلّموا جيلاً بعد جيل أن حياتهم لن يطرأ عليها أي تغيير، فهما خارج خريطة العالم، لا تعليم جيد إن وجد، لا صحة جيدة بالطبع إن وجدت، فتراهم وكأنهم أشباح لا روح فيهم، يعيشون فقط يومهم ولا يفكرون بالغد إلا عندما يأتي، لا أمل ولا طموح ولا حتى أدنى مستوى من الحياة الكريمة.

عندما اشتد المرض أكثر على الحاجة وفاء، نقلها الجيران للمشفى، وظلت به أيام قليلة تُنازع أمراض الشيخوخة حتى توفاها الله واسترد أمانته، عادت آمال لشقتها وحيدة مكسورة الفؤاد، فبالرغم من شجارهاِ الدائم مع



الحاجة وفاء إلا أنها كانت "الونس" الوحيد لها، عادت لشقتها المُهندمة لا تعلم كيف ستحيا داخلها وحيدة! لا أحد يسمعها أو تسمعه أو حتى تتشاجر معه!

ساندها كل من بالبناية، وقام الأستاذ سيد بإقامة عزاء للفقيدة، ولم يترك آمال وحيدة، وأيضاً سكان البناية لم يتركوها فريسة لوحدتها التي فُرضت عليها، فكانت الحاجة صفاء تُرسل لها كل يوم وجبة طعام ساخنة طيلة أيام العزاء، وتهبط تجلس معها هي وصديقتها الحاجة أم مُعاذ، حتى لا تشعر بالوحدة، رغم كل ذلك تدهورت صحة آمال سريعاً بعد وفاة أختها وكأنها زهدت الحياة وعلمت أنها ستموت قريباً وتلحق برُفقاء حياتها، هوّن عليها جيرانها واستمر جميعهم في مساندتها حتى تماسكت قليلاً وعادت لها صحتها، وبدأت تُمارس طقوس نظافة المنزل اليومية كعادتها، حينها اطمئن عليها الجميع وفرحوا بعودتها لحياتها العادية، خاصة مع أول شجار لها مع عم سعيد الذي استقبله الأخير برحّابةِ صدر وابتسامة، وقال لها مُمازحاً:

- مرحى يا ست البنات.. مرحى، الآن اطمأن قلبي عليكِ، عوداً حميداً يا ست آمال، فلتتشاجري معي كما تشائين؛ فشجاركِ هذا خفيفٌ على قلبي وطلباتكِ كلها مُجابة.

لتبتسم آمال ابتسامة خجل ورضا لأول مرة في حياتها للرجل الطيب الذي يعلم كيف يجبُر الخواطر وتقول:

- كم أنا محظوظة بأهلي الذين أحيا وسط رعايتهم.



يبتسم لها عم سعيد ويُشير لها بكفّ يده ويضعه على رأسه وكأنه يقول لها..
" أنتِ فوق رؤوسنا جميعاً"

بالطبع كل تلك الأحداث المُتتابعة الحزينة باعدت بين إتمام خِطبة عبدالله وسُعاد، كما باعدت أيضاً بينه وبين شيرين، التي شعرت بمحاولات عبدالله بالابتعاد عنها، وفهمت بذكاء الأنثى ذلك دون تصـريح منه، ومنعها كبرياءها أن تلحّ عليه في اللقاء، بل على العكس عادت لحياتها التي كانت قبله وكأنه لم يكن..

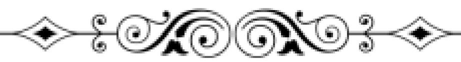
غريب أمر تلك السيدة! لا أحد يعلم كيف هي ولا ماهية نفسيتها المُتشابكة تلك! تراها.. فتشعر أنها سيدة مجتمع من الطراز الأول، تُحب الحياة والمرح، تقترب منها.. فتشعر بخواء روحها واشتياقها للاهتمام والحب، تدخل حياتها.. فتراها أُمّ لا تعلم عن ابنتها الوحيدة الكثير، ولا تهتم بأي شـيء إلا نفسـها، تلوم زوجها وتُلقي عليه كل أخطاءها لكنها لم تحاول قط أن تواجهه بذلك أو حتى تُشـعره بتقصـير تجاهها وتجاه حياتهما سـوياً؛ لأنها تريد تلك الحياة، تريده بعيداً عنها ليوفر لها الحياة التي تحبها ولتشـعر كما تشـعر بالحُرية، وكما أن لكل شـيء ثمن، كان لكل حياة رغدة فاتورة، فكانت فاتورة حياتها تلك هو عدم استقرارها النفسي، فتراها حيناً مُنحلّة، وحيناً أنانية، وأحياناً أخرى لا مُبالية، حتى عندما علمت بالصُـدفة خبر ارتباط عبدالله لم تبالِ، وهو لم يحاول قط شـرح موقفه أو إيجاد مَخرجٍ يليق بما كان بينهما حتى لا يشـعرها بالتخلي، بل على العكس تجاهلها أكثر وانقطع عن دروس ابنتها وكأن شيئاً لم يكن.



تمت خِطبة عبدالله وسُـعاد بعد أشـهرٍ قليلة من وفاة الحاجة وفاء، فوق سـطوحِ البناية، حيث اسـتأذن عم سـعيد من الأسـتاذ سـيد وأقام حفل الخطبة في السـطوح بجوار حجرة عبدالله، وحضـر الحفل كل من بالبناية، حتى شـيرين حضـرت هي وابنتها وجلسـت تبتسـم للعروسـين بعد أن سـلّمت عليهما وقدمت هدية للعروس، كانت تنظر بين الحين والآخر لحجرة عبدالله التي جمعته بها وهي مبتسـمة ابتسـامة اسـتهزاء، ثم تنظر للعريس الذي كان ينظر لها هو الآخر على فترات نظرة مُحَقِّرة منها، رأتها جيداً وفهمت معناها، فقامت بكل غيظٍ منه ومن نظرته تلك وغادرت هي وابنتها، نزلت لشـقتها وهي تلوم نفسـها حدّ الجَلد، لماذا تواضـعت وقبلت دعوة عم سـعيد، بل لماذا قبلت أن تُهان من مثل ذلك الحيوان الذي كان يُقّبل قدميها كلما رآها! هل فضـولها لرؤيته مع عروسـه جعلها تهين الباقي من كرامتها، أم أن فِعلتها تلك لتوبخ نفسـها على تفريطها في غرورها والقبول بمثل ذلك الذي تجرأ وتركها حتى دون اعتذار وكأنها مومس رخيصـة! بكت طيلة ليلتها على كرامتها التي أُهدرت وتوعدته بالانتقام.



(حُجرة السطوح بعد التجهيز لاستقبال العروسين)



بعد الخِطبة بستة أشهرٍ تم الزواج في حجرة عبدالله البسيطة، بعد أن قام عم سعيد بتعديلات بسيطة بها - بعد استئذان صاحب العقار - وقام عبد الله بطلاء حوائطها بنفسه، وبفرشها من الداخل بحجرة نومٍ جديدة، ومنضدة صغيرة وأربع كراسي، وأريكة بمدخل الحُجرة، وجهّز بجوار الحُجرة مكاناً صغيراً استغله كمطبخ، وأهتم ببعض الزرع المُهمل، فأصبحت الحجرة البسيطة كما لو كانت بالنسبة لسُعاد قصراً مهيباً، ملأته تلك الطيّبة الفطرية سعادة وحب وساندت زوجها وارتضت بظروفه، بل وساعدته على تحقيق طموحه؛ فكانت نِعم الزوجة والرفيقة التي تدّخر المليم على المليم لترضي زوجها وفقط، فهي لا طموح لها في الحياة غيره، لا تريد أن تنتقل من حُجرتها تلك أبداً لكنها كانت تفعل كل ما يأمرها به أو حتى يحلُم به قبل أن يقوله، حَمِلت سُعاد حملها الأول فطارت فرحاً، وفرح أبيها بذلك الخبر كثيراً وأبلغ أمها في الحال، أما عبدالله فلم يفرح لذلك الخبر كثيراً بل اعتبره حجر عَثِرة سيُعطل مسيرته، لكنه خبأ ذلك وادّعى السعادة وقال في نفسه:

- قدر الله وما شاء فعل، لن يضر طفلاً واحداً، خاصة وأن أمه تؤتمن على تربيته ولن أحمل هم تربيته ورعايته، وبعد هذا الطفل سألزمها بعدم تكرار الحمل.

تغير شكل البناية بعدما فارقها بعض سكانها، فموتِ البعض أضاف على ملامحها بعض الحزن، وسفر البعض الآخر زاد من ذلك الحزن، موت الأستاذ صبري والسيدة ماريان ثم الحاجة وفاء أثّر في كل من بالبناية، ثم ترك المهندس هاني وابنه البناية بل والبلد كلها وهاجرا إلى أستراليا واستقرا



هناك، وظلت شـقتهم مُغلقة بعض الوقت حتى طلب عبدالله من الأسـتاذ سـيد أن يؤجرها منه، لم يمانع الأسـتاذ سـيد في تأجيرها للشـيخ عبدالله، خاصـة بعد أن تحسـنت أحواله وزاد دخله، فأصبح عبدالله وزوجته سُـعاد من سكان البناية لا السطوح، حينها طلب عبدالله من عم سعيد أن يستريح ويترك عمله كحارسٍ للعقار، فرفض عم سـعيد رفضـاً باتاً وغضـب من عبدالله كثيراً؛ حيث شعر أنه أصابه الغرور والكِبر وأصبح يخجل من عمل والد زوجته، هوّنت سُـعاد على أبيها وحاولت أن تُزيل سـوء التفاهُم بين أبيها وزوجها دون فائدة، لم يتحدثا سوياً إلا عندما وضعت سُعاد مولودها الأول، فبدّدت الفرحة غضـب عم سـعيد واحتضـن عبدالله وقبّله وهو يبارك له وصـول مولوده الأول وحفيد عم سـعيد الرابع - فابنته الكبرى كان لها من الأبناء ثلاث - لكن فرحة عم سـعيد بذلك المولود كانت أكبر من أي فرحة؛ لأنه تابع حملِه وتكوينه وولِد بين يديه.

حملهُ الجدّ الطيب بين يديه وكبّر في أذنيه ولقّنه الشـهادتين وقبّل جبينه، وهو لا يصـدق فرحته عندما علم من ابنته أن زوجها قرر منذ أن علم نوع الجنين أن يُسميه (سعيد) تيمناً باسم جدّه الطيب.

كان عبدالله به من العيوب الكثير والكثير، ما ظهر منها وما تُخبئه أبواب نفسـهِ الخلفية، لكنه كان يُحب الرجل العجوز بصِـدق، فهو سـبب كل خير هو به منذ أن وصل للمدينة.

عادت المياه لمجاريها بين عم سـعيد وعبدالله، حتى بعد أن صـمم عم سـعيد على عدم قبول أي مسـاعدة من عبدالله، ليشـتري قيراط أرض زراعية آخر



بجوار قيراطه الوحيد الذي يمتلكه ويراعيه ولده محمد وزوج ابنته الكبرى، فالرجل كان وما زال صاحب شموخ ولا يقبل الإحسان حتى لو كان من زوج ابنته.

بزغ نجم عبدالله بسُرعة الصاروخ، ليس فقط في عمله مع الشيخ عمّار في محل عطارته، حيث أصبح مدير حساباته الخاص الذي يراعي كل حسابات المحال التجارية، بل وأيضاً في عمله الدَّعوي، حيث بدأ في الصعود بين صفوف الشيوخ وتقّرب من كبار الشيوخ وأصبح تلميذهم النجيب، فكان يعطي دروساً في مسجدٍ تابع لهم، ثم أصبح يعطي تلك الدروس أيضاً في جمعية دعوّية تابعة لهم، ومع ما يتمتع به من ذكاء ودهاء وحُسن بيان ومجادلة، أصبح من أهم شيوخ الدعوة السلفية في وقتٍ قصير، حتى أنه أصبح يتحدث باسمهم في بعض المنابر الإعلامية، إلى أن جاء يومٌ فارق في حياة الشيخ عبدالله...

حيث طلبته إحدى القنوات الدعوية ليقدم برنامجاً دعوياً للشباب، لم يصدق نفسه من الفرحة، وافق على الفور وحدد معهم موعداً لكتابة العقد والاتفاق على تفاصيل البرنامج، عاد لشقتهِ وهو يكاد أن يطير من على الأرض من سعادته، وأبلغ زوجته بذلك، ففرحت لفرحته كثيراً وأبلغته أنها تحمل له خبراً سعيداً هي الأخرى، لينتبه لها لمعرفة الخبر، فتُبلغه بحملِها الثاني، فتتحول ملامحه من السعادة للعبوس، ويقول لها ثائراً:

- ألم أتفق معكِ أني لا أريد أطفال بعد سعيد، على الأقل الآن! أي غباءٍ هذا الذي أنتِ به، هل تريدين هدم كل ما أسعى لتحقيقه؟!



تنهمر دموع سُعاد وهي صامته ورأسها بين يديها حتى سكت هو الآخر ودخل حُجرة نومه غاضباً، وهي غير مستوعبة لما يقول وتريد إصلاح ما أفسدت بغير تعمُّد، فتدخل وراءه غرفة نومهما ليطلب منها أن تغادر وتنام ليلتها في حجرة صغيرهما، تستجيب هي دون نقاش وتذهب وتتركه، تقضي المسكينة ليلتها باكية وفي الصباح تُحضِّر له فطوره وملابسه كالمعتاد، لكنه يخرج دون أن ينظر إليها، تُخاطب والدها هاتفياً ليصعد إليها وتحكي له، فيُربت والدها على كتفها ويبارك لها على جنينها ويطمئنها أنه سيتحدث مع زوجها الغاضب ويُهدئ من ثورته غير المبررة.

كانت أمور البناية وسُكانها تمشي كالمُعتاد إلا من بعض المُستجدات مثل تَخرُج عُلا ابنة الحاجة صفاء من جامعتها المرموقة، وخِطبتها لزميلٍ لها بالمشفى التي عُينت به كطبيبة امتياز، ودخول أخيها كُلية التجارة وحيداً بعد أن تركه صديق عمره مُراد وهاجر مع والده، وأيضاً إنجي ابنة شيرين كبرت والتحقت بالمرحلة الثانوية وأصبحت أنثى جميلة تشبه والدتها كثيراً لدرجة أنها خطفت قلب ابن الشيخ عمّار "طلحّة" الذي أحبها كثيراً ولكن في صمت.

أيضاً على الجانب الآخر حيث نِعمة وعائلتها الصغيرة التي واجهت أصعب اختبار لها في حياتها، حين قررت الدولة إخلاء منطقة غيط العنب بالكامل وهدم مبانيها العشوائية واستبدال تلك المباني المُتهالكة ببنايات حديثة جديدة تتمتع بكل الخدمات والبِنية التحتية، فصرفت الدولة تعويضات لأهالي المنطقة ولكن...



كان من ضمن شروط صرف التعويضات إثبات مِلكية العقار الذي سيُهدم، وبالطبع ذلك الشرط كان صعب التنفيذ على مُعظم أهالي المنطقة؛ فمعظمهم بيوتهم عبارة عن عشش صفيح أو خشب أو حُجرات ضيّقة في أحسن الأحوال، والأرض التي بنوا عليها تلك "المقابِر الحيّة" كانت لا عقود لها، فحُرم أغلب السكان من التعويضات وتشردوا، وكان من بينهم نِعمة وزوجها وابنتها، لكن كان حظ نِعمة أكثر انصافاً من البعض، فعندما علِم عم سعيد بحالها، توسط لها عند الأستاذ سيد لإعطائها حُجرة السطوح التي كان عبدالله يسكُن بها، فوافق الأستاذ سيد على الفور، فنِعمة محبوبة من كل سكان العقار، لم تعرف نِعمة ماذا تقول لعم سعيد، فمنذ أن قابلته وحياتها الصعبة أصبحت أقل صعوبة، دمعت عيناها وهي تحاول تقبيل يده قبل أن يسحبها منها وقالت:

- لا أعلم كيف أشكرك يا وجه الخير، أنت بالفعل كالملائكة التي تسكن الأرض، لقد أنقذتني وعائلتي من التشرُد، ستركّ الربّ وحفظتك العذراء أيها العمّ الطيب.

لينظر لها عم سعيد وهو مُتعجباً، فلأول مرة منذ أن عرفها يعلم أنها مسيحية الديانة، فملابسها كانت كملابس أي سيدة فقيرة - جلباب أسود ورابطة رأس سوداء - حتى اسمها واسم ابنتها لم يفصح عن اختلاف الديانة، لكنه ابتسم لها وربت على كتفها وقال:

- لا تقولي ذلك يا نِعمة، فأنتِ مثل ابنتي تماماً، ولم أر منكِ إلا كل إخلاص وأمانة في عملكِ.

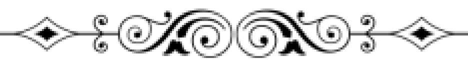


كان عم سعيد قد تغيرت قناعاته المُتشددة منذ حادث الكنيسة الذي راحت ضحيته السيدة ماريان، وبعد أن رأى مشاهد الموت والرعب، ورأى بعينيه أن الموت لا يفرِّق بين مُسلم ومسيحي، وأن رُعب الأطفال الصغار ومحاولة انقاذهم كانت هي الأهم دون أي اعتبارات شاذة عن الفطرة، فالدين لله وفقط.

بالفعل سكنت نِعمة وعائلتها السطوح وتحسنت صحة زوجها كثيراً خاصة عندما انتقل إلى حجرة السطوح التي تدخلها الشمس من كل اتجاه، وكانت مُجهزة بكل شيء تحتاجه تلك الأسرة الطيّبة، فعندما غادرها عبدالله وزوجته ترك بها كل شيء وقام بتجهيز شقته الجديدة بما يليق بوضعهِ الجديد، وأيضاً التحقت ابنتها الصغيرة بالمدرسة الحكومية القريبة من البناية وتغيّرت حياتهم جميعاً للأفضل.

كان الشيخ عمّار يرى صعود عبدالله وهو سعيد ومُعجب به وبذكائهِ، فهو ربيبهُ ومدير حساباته وكاتم أسراره أيضاً...

كان عبدالله كاتم أسرار الشيخ عمّار بالفعل، لأنه يعلم عنه كل شيء، يعلم بابهِ الخلفي الذي يخفي وراءه زواجه الثاني من فتاةٍ تصغره بعشرين عاماً، وأيضاً يعلم مصدر تمويله الأساسي وهو أموال الجماعة السلفية التي تُغدق عليه الأموال لتتوسع تجارته منذ سنواتٍ وسنوات، وأيضاً ليضم لها الكثير من الشباب الجُدد الذين يختارهم بعناية، كما فعل مع عبدالله وغيره الكثير.



عـامٌ كامـل مرّ علي البنـايـة وسـكانهـا، كان مليء حَـدّ التُخمـة بـالأحـداث والتغيُرات؛ حيـث تغيرت خلالـه الكثير والكثير من الأحـداث والأشـخـاص والملامح...

عم سعيد ما زال هو الوحيد الذي يمُر عليه الزمان ولا يتغير أبداً، وكأن باب حياته الخلفي مُغلق ولا يوجد عنده ما يخبئه داخله، نفس جلسته اليومية على كرسيه الخشبي يتابع من خلال تلك الجلسة وجوه المارة ويحل مشاكل البناية ويرعاها، ويتحمل صراخ آمال بهدوءٍ وودّ.

أما الأستاذ سيد فقد مر عليه العام كعشرة أعوام؛ تخلى عن عادات كثيرة من عاداته اليومية، وأطلق سراح شعر رأسه الأبيض، ولم يعد قادراً على الخروج يومياً فاستعاض عن ذلك بدعوة مَن تبقى مِن أصدقاء – بعدما رحل الكثير منهم بالموت – إلى شقته يتسامرون ويتحدثون عن العُمر الذي فات ووصل لآخر محطةٍ له.

آمال ظلت وحيدة تحرص على طقوسها اليومية في تنظيف شقتها النظيفة دائماً، لكن حِدّتها مع الجميع قد تناقصت حدّ التلاشي، فصارت أهدأ إلا من بعض المناوشات مع عم سعيد ولكن كانت تلك المناوشات من باب الودّ والونس به، وازدادت علاقتها الودية مع الجيران، خاصة الحاجة صفاء وأم مُعاذ، فكانت تدعوهما أحياناً لتناول القهوة معها، فلا يرفضان دعوتها أبداً، وظلت نِعمة تساعدها أحياناً في أعمال المنزل.

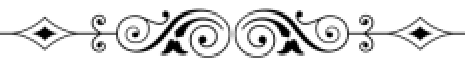
أما مدام شيرين.. فظلت كما هي لا تكلّ ولا تملّ من خروجاتها وسهرها مع صديقاتها، والعجيب أنها تناست علاقتها بعبدالله تماماً وكأنها لم تكن،



والأعجب أنهما منذ أن صمت كل منهما ونهى العلاقة في صمت - يوم خِطبته - لم يتقابلا ولا حتى صُدفة على سُلم البناية! وكان عدم اللقاء ذلك بدون تعَمُد منها أو منه، فمن ينظر لحياتهما بعد قطع العلاقة يرى أنهما يعيشا حياتهما دون أي توتر أو قلق من مُقابلة الآخر صُدفة، وكأنهما عقدا ميثاق خفي به من شروط الهجر الكثير، وأهم شرط في هذا الهجر غير المُتعمد هذا هو ألا يتذكرا بعضهما البعض حتى لو تقابلا وجهاً لوجه، فرفعت الأقدار عنهما ذلك الحرج ولعبت دورها في إكمال ذلك الاتفاق الذي عُقد في الأبواب الخلفية من حياتهما، وقررت ألا يتقابلا حتى ولو صُدفة، وتناست وعيدها بالانتقام منه، بل على العكس تماماً، كانت كلما ترى زوجته تبتسم في وجهها بودّ وتلقي عليها السلام، وتداعب صغيرها وتضاحكه، وتركت أمر عبدالله كله لتتولى أبوابها الخلفية أمر دفنهِ والتخلص من ذِكراه.

أما زوجها وابنتها.. فالحال كما هو الحال، زوجها إجازته السنوية أيامٍ معدودات، وابنتها لها عالمها الخاص الذي لا تعلم أمها عنه شيء.

سُعاد كانت كما هي، نِعم الزوجة والأم والحبيبة والسند لزوجها الطموح الذي لم يعد يراها ولا يرى أحد غير مصالحه وحسابه البنكي الذي بدأ في التضخم نتيجة عمله كداعية وله برنامجه الخاص الذي استقطب من خلاله متابعين كُثر، خاصة من فئة الشباب، بسبب فصاحته وطريقته الهجومية والتهكمية في الحوار والتي تصيب محاوره بالتشتُت، ومجادلته وذكاءه حدّ المكر، رغم أن معظم آراءه كانت متشددة ويمكن أن يُرد عليها لو أن الذي يجادله يعي صحيح الدين كـ أحمد صديقه، الذي كان يعلم عنه كل



شـيء ويعلم أنه يسـتغل حُسـن بيانه وتأثيره على عقول الشـباب وأنصـاف المُتعلمين؛ ليحقق شُهرة ومكاسب مادية بعيداً عن مصلحة الدين أو نُصرته أو توضيـح صـفاته السـمحة الوسـطية، فكان يسـتغل كل شـيء وأي شـيء ليكسب المزيد من المتابعين وقد كان.

أما شقة الحاجة صفاء.. فلم يطرأ عليها أي جديد سوى خِطبة عُلا، ودخول عصـام للجامعة ونفورهِ الشـديد من الشـيخ عبدالله وآراءهِ التي كان يرى أنها تخالف الفطرة في الكثير من الأمور.

الحاجة أم مُعاذ، كانت تعلم بفطرة الأنثى ما يخبئه عنها زوجها، ورغم ذلك تجاهلت الأمر وعاشـت لبيتها وأولادها وظلت كما هي الزوجة والأم المُتفانية، غير أن مُعاذ ابنها كانت أفكاره متشـددة ويدعو دائماً لإقامة الدولة الإسـلامية، وواجه مشـاكل جمّة في جامعته نتيجة تشـدد أفكاره ومظهره المتشـدد؛ حيث أطلق لحيته وكان يحارب إقامة الحفلات والندوات الثقافية والفنية داخل الجامعة، ويرفض الرحلات لما بها من اختلاط فجّ - على حد تعبيره - وعندما تخرّج من جامعته تنفسّـت والدته الصـعداء وطالبته بالاعتدال في آراءه وترك التعنُت والتعصُـب، لكن والده نهرها وقال لها بالنَصّ:

- فلتتركي ولدي ولا تتدخلي في شـئونه، فأنتِ لا تعلمين أي مسـتقبل ينتظر ولدك هذا، فهو ومن شابهه بإذن الله من سيحكُم العالم.

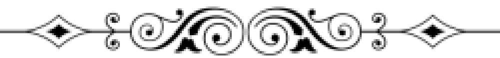
ورغم أن قلب الأم كان يشـعر بما لا يشـعر به أحد، إلا أنها رضـخت لكلام زوجها وصـمتت كالعادة، أما عليّ فقد كان نِعم الولد الصالح المُحب لوالدته



وأسـرته، المُعتدل في كل شيء، المتفوق في دراسـته دائماً، وطلحّة ذلك المُحب الصـــامت، الذي يهيم حباً بإنجي، خاصـــة بعد أن انتقلت للمرحلة الثانوية وجمعت المدرسة الخاصة باهظة الثمن بينهما، حيث كان يكبرها بعام، فكان يحاول التقرُّب منها ثم يتراجع عن محاولاته كلما رآها، وأمينة.. تلك الفتاة الرقيقة الهادئة الصـــامتة في معظم الأوقات، كانت لا تهتم إلا بدراســـتها ولا تخرج من حجرتها إلا لمســـاعدة والدتها أحياناً في شـــئون المنزل أو لتناول الطعام، وهي صـــامتة، فلا أحد من اخوتها يتقرب منها أو يصـــاحبها أو حتى يسأل عن أحوالها، اللهم عليّ الأخ الحنون الذي كان دائم السؤال عنها.

(جنازة الشهيد)





جاء يوم مفصلي في حياة البناية، هدَم أهم عامود من أعمدتها البشرية.. عم سـعيد الذي هاتفه ذات يومٌ رقم مجهول يقول له جملة قصـمت ظهره نصفين:

- لقد ارتقى ابنك محمد شهيداً أثناء تأدية واجبه العسكري وحماية حدود الوطن، ونحن ننتظرك لتسليمك جثمان الشهيد.

أي صـاعقة تلك التي نزلت من السـماء على رأس الرجل الطيب! لم يرُد على المُتحدث، لم يبك ولو بدمعةٍ واحدة، لم ينتحب، ولم يصرخ، كل الذي فعله أنه أغلق الهاتف بعد أن علم عنوان المشفى الذي يرقد به ابنه جثة، وجلس على كرسيه العتيق يتمتم بكلمات غير مفهومة يتخللها اسم الله.

ظل على وضعيته قرابة الساعة، ثم أمسك بهاتفه وطلب رقم الشيخ عبدالله وقال له ما حدث، ليهرول الأخير إليه على الفور ويأخذه معه بعربته ويذهبا للعنوان المُحدد ويستلما جثة الشـهيد ويذهبا به إلى مسـقط رأسـه ليدفنه أهل قريته في مقابر الأسـرة وسـط جنازة مهيبة، اسـتغلها عبدالله أسـوأ اسـتغلال، فرغم حزنه على حزن عم سـعيد إلا أنه قرر اسـتغلال الفرصـة وعقد لقاءاتٍ عِدة يتكلم فيها عن الشـهيد وعن مأساة أسرته؛ ليكتسب بها تعاطُف الكثير والكثير ويكسـب من وراء ذلك الكثير من المتابعين الجُدد له ولقناتهِ الخاصة التي أسسها على موقع اليوتيوب.



كان موت محمد بمثابة موت والده ووالدته، التي مرضت بعد موته واستسلمت للموت البطيء، وجلس زوجها بجوارها ولم يعُد إلى عمله في المدينة، ليتنفس عبدالله الصعداء ويقول في نفسه:

- ما أجمل موتك يا محمد.. فقد استفدت أيها الصبي من موتك الكثير عكس حياتك التي كانت بلا فائدة بالنسبة لي، فأنت وأنت حي كنت ذلك الصِّهر الفقير الجاهل الذي أخجل منه، أما بموتك أيها البطل فقد أصبحتُ أنا صِّهر الشهيد واكتسبت تعاطف الآلاف وتخلصت من أبيك وجلستهِ المُحقِّرة لوضعي، فلترقُد روحك في سلام أيها الشاب عديم القيمة حياً.

"يا لقباحة ذلك الشيخ وقذارة نفسه!"

وضعت سُعاد مولودها الثاني ذكراً، فصممت أن تطلق عليه اسم أخيها الراحل، وبالطبع لم يعترض عبدالله، فهو لا يعترض أبداً على أي فِعل يستطيع أن يكسب من وراءه المزيد من التعاطف والمتابعة، فأعلن على الفور عبر قناته أنه رُزق بمولودٍ وقد أسماه محمداً تيمناً باسم الرسول الكريم ولإحياء ذكرى صهره الشهيد..

ترك عبدالله عمله مع الشيخ عمّار؛ فلم يعد يمتلك من الوقت الكثير ليضيعه معه، ولكنه أبى أن يترك وظيفته في الأوقاف رغم حقارة راتبها بالنسبة له الآن، وحلم أن يترقى في وظيفته وأدرك أنها مَدخلهِ لمركزٍ مرموق في الدولة بعد حين، فتقرّب لأصحاب القرار وتملق رؤساءه وأغدق عليهم الهدايا باهظة الثمن، وظل أحمد يراقبه في صمت، لا يتحدث إليه إلا عندما



يطلب منه عبدالله الحديث، وبالرغم من اختلافهما الواضـح إلا أن عبدالله ظل حريصـاً على صـداقته مع أحمد، ربما كنوع من أنواع جلد الذات أو ليتذكر مدى حقارته كلما رأى أحمد وتحدّث معه، الأعجب من ذلك أنه كان كالكتاب المفتوح مع أحمد، لا يتجمل، لا ينافق، لا يرسـم هالة حوله من الصـلاح الكاذب ولا يدّعي الإيمان والتدين الظاهري كما كان يفعل مع الجميع حوله! لربما كان يحتاج لذلك كإنسـان بداخله بقايا ضـمير إنسـاني، أو ربما ليتخلص من أقنعته الزائفة لبعض الوقت مع صـديق مُخلص يعلم أنه مهما تحدّث وبانت سوءته أمامه سيستره.

إذن.. علاقته المستمرة بأحمد كانت أيضاً لمصلحته الشخصية وليُمتّع نفسه ببعض السلام النفسي.

"يا له من حقير هذا المُدّعي الكاذب المُستغِل!"

تولى شئون البناية بعد عم سعيد.. زوج نِعمة (عاطف) بعد أن تحسن وضعه الصحي كثيراً، فأصبح هو حارس العقار الجديد، واستقر عم سعيد بجوار زوجته وقبر ابنه الشـهيد، يعمل بقيراطه الوحيد هو وزوج ابنته الكبرى واستسلم للحياة الهادئة بعيداً عن كرسيه وصَخّب المدينة الكبيرة.

تزوجت عُلا ابنة الحاجة صـفاء، وسـافرت مع زوجها الطبيب المجتهد لبريطانيا لاسـتكمال دراسـتهما والعمل هناك، وتخرّج عِصـام من جامعته وأصبح مهندساً معمارياً وأنشأ هو وزميلين له مكتباً هندسياً صغيراً، وارتبط بزميلةٍ له في العمل اسـمها (نورا) وظل على كراهيته لعبدالله وكلما رأى له



متابعين يزداد كرهه له ويترسخ داخله رأيه فيه، فهو بالنسبة له مُدّعي وصولي مُستغل.

ذات يومٍ... وهو جالس مع خطيبته يتناولان القهوة وجدها تتابع مقطعاً مصوراً له على موقع من مواقع التواصل الاجتماعي فغضب كثيراً، تعجبت خطيبته من ردة فعله، وسألته عن السبب، فقال لها:

- هذا المُدّعي جارٌ لنا، عندما أتى للبناية كان مجرد شاب ريفي فقير، وهذا لا يعيبه ولكن.. ما يعيبه أنه كان يدّعي التدين وهو على علاقة مُحرمة بجارة لنا متزوجة من غيره وأمٍ لابنة وحيدة.

تعجبت نورا كثيراً من كلامه، لكنها تابعت باهتمام حديثه الذي أكمله بقوله:

- لقد رأيتهما معاً.. وتأكدت من علاقتهما بعدها، ذات يوم كنت أجلس في سطوح المنزل بعيداً عن شقتنا لأستنشق بعض هواء الليل العليل في ليلةٍ صيفية خانقة، رأيتها تتسلل لحجرته وتعجبت، كيف لتلك المرأة الجميلة الراقية أن تفعل ذلك! ثم انتظرت مكاني علّها كانت ترغب في شيء من عنده أو تطلب منه نصيحة رغم أن تسلُلها بعد انتصاف الليل لا يوحي بذلك، إلا أني قلت في نفسي "إن بعض الظن إثم" لأتأكد بعدها أن علاقتهما علاقة مُحرمة حيث سمعت أصواتهما وهما يغوصان في بحر عشقهما المُحرم، فعُدت إلى شقتي وأنا لا أصدق ما رأيت وما سمعت، وتكررت مرات صعودها له ورأيتها عنده أكثر من مرة.

ترد عليه نورا وتقول:



- علّه تاب وأناب وعاد لطريق الصلاح! فالله قد ستره ولم يكشف عنه حجابه، يجوز أنه قد اعتبر.

يجيب عليها عِصام وهو غير مُقتنع:

- يجوز.. لكن ادعائه ومغالطاته الفكرية وسعيه وراء جني المال بأي ثمن واضح جداً في كل ما يفعله، لا أصدق حرفاً مما يقوله وهو لا يقول إلا باطلاً مُغلفاً بثوبٍ مُهترئ من الحق الذي يُغطي به كذبه المستمر.

تنهي معه خطيبته الحديث وهي تغلق هاتفها المحمول ولا تُكمل مشاهدة المقطع، وتنظر لعِصام وتقول:

- فلتهدأ أيها الشاب الجميل قليلاً، لو كان مُدّعي سيأتي له يومٍ وينكشف وجهه الحقيقي أمام الجميع، فالكذب لا يستمر طويلاً.

يبتسم لها عِصام ويقول:

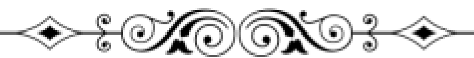
- معكِ حق أيتها الجميلة الحكيمة.

ويضحكا سوياً ويتناسيا الموضوع برُمته وينهمكان في عملها، وشرب قهوتهما ثم ينصرفا.

عامان مرا على البناية ولم يتغير بها أي شيء يُذكر، اللهم عائلة عبدالله التي زادت فردان، حيث وضعت سُعاد مولوداً ثالثاً بعد عامٍ من ولادة ابنها محمد، أسماه أبيه أحمد، ثم وضعت مرة أخرى بعد عامٍ آخر مولودة أسمتها خديجة، وبذلك يكون عند عبدالله ثلاثة ذكور وأنثى، ترك شئون

المنزل والأطفال لزوجته، وتفرّغ هو لبرامجه وعمله ومتابعينه و... شهواته التي أضفى عليها طابع الحلال وهو يعلم كل العلم أن ما يفعله قولاً واحداً حرام.. استساغ إشباع شهواته التي لا تنتهي من كل شيء، فكان يمتلك سيارات عديدة باهظة الثمن، ساعات وملابس يشتريها من الخارج بآلاف الجنيهات، اشترى "فيلا" بعيداً عن شقته التي في عمارة لوران؛ ليقضي فيها معظم وقته مع من يشتهي من النساء اللاتي يقنعهن أنه سيتزوجهن عُرفياً وأن زواجه منهن حلال، ويتفنن في جلب ما يؤكد فتاويه المشبوهة من أسانيد باطلة، يلويها لتقوي حُجته حتى تقتنع الضحية، فمنهن من كان "يتزوجها" ليلة واحدة فقط، ثم يتركها في الصباح ويقول لها هذا شرع الله! والله منه براء.

ظل هذا المُضلل على هذا الوضع، ورغم تكّتُمه وأخذه كل الاحتياطات الواجبة على ألا ينكشف أمره إلا أنه أحياناً كان يتسرب له خبراً من أخبار زيجاته العجيبة تلك، لكنه كان مُستعداً لأي تسريب من هكذا أخبار بتجهيز بعضٍ من متابعينه المُضللين مدفوعي الأجر، كتيبته التي يدفع لها الكثير من المال لتدافع عنه، وأيضاً مريدينه من أنصاف العقول اللذين على وشك إقامة مقام لشيخهم الذي لا يخطئ أبداً! وينهالون على كل من يحاول كشفه أمامهم بالسُباب واللعنات دون حتى أن يحاولوا الفهم، فعقولهم كعادة أنصاف العقول تؤلّه وتُمجِّد وتصنع أصنام من شخصيات مثل شخصية "عبدالله فتحي" لتدور في مدارها، وبسبب جهلهم وغباءهم يقومون بتقوية موقف من هم مثله من المُدعين المنافقين، فيصل لمرحلة تصديق كذبه



ليتصرف وكأنه المَهدي المُنتظر، ويوزع البركات على من يفعل ذلك ويشجعهم على فعلتهم وكأنـه يملـك صـكوك غفران كاذبـة يمنحهـا لكل من يسُّـب معارضيه.

اسـتسـلمت زوجته سُـعاد للأمر الواقع، فهي تعلم عنه وجهه القبيح، وترى باب نفسـهِ الخلفي مفتوحاً لها على مصـراعيه، وتعلم كذلك أنه لا يحبها ولا يحب أحداً إلا نفسـه وفقط، فعكفت ببيتها وتفرغت لخدمة أولادها الأربعة ونسيت أنها زوجة.

كان الأسـتاذ سـيد قد أصـابه المرض، وانقطع عن العالم، ظل طريح الفراش شـهورٍ طويلة لا يعلم عنه أحد ولا يراعيه سـوى نِعمة بعد أن تركه خادمه وسـافر لكِبر سـنهِ هو الآخر، وفي يوم من الأيام دخلت عليه نِعمة كعادتها صـباحاً وفتحت الباب بمفتاح الشـقة الذي تركه معها، فوجدته قد فارق الحياة.

تجّمع سكان البناية وحاول الشيخ عمّار الاتصال بأحد أبناءه وكرر محاولاته حتى اسـتطاع الوصول له وإبلاغه الخبر، طلب ابن الأسـتاذ سـيد من الشـيخ عمّار إتمام إجراءات الدفن حتى يتصل بإخوته ويعودون للبلاد بعد أيام.

بالفعل.. قام الشـيخ عمّار بكل إجراءات تجهيز الجثمان والدفن وأقام له عزاء بداخل شـقة الأسـتاذ سـيد، وعند انتهاء العزاء أغلق الشـقة واحتفظ بمفاتيحها معه بعد أن أعطته نِعمة مفتاحها أيضاً وانتظر رجوع أولاده.



بعد عدة أيام من الوفاة، وصل أبناء الأستاذ سيد جميعاً، ليحصروا تَرِكته ويشرعون في إجراءات إعلام الوراثة تمهيداً لبيع كل أملاكه، ليعودوا لأماكن عملهم اللذين استقروا بها خارج البلاد.

عرضوا البناية للبيع، فهرول لشرائها عبدالله، وغالى في ثمنها بعد أن علم أن الشيخ عمّار يريد شراءها، ذهب لابن الأستاذ سيد الكبير وعرض عليه مبلغاً كبيراً لم يتوقعه الوريث، فلم يفكر وقام بإتمام الصفقة سريعاً.

أصبح عبدالله مالك العقار الجديد، بعد أن كان يسكن حجرة السطوح! لم يغير مالك العقار الجديد أي شيء من نظام البناية؛ فظل زوج نِعمة كما هو حارس العقار، وظلت نِعمة تقوم برعاية البناية وتنظيفها وخدمة شقق البناية جميعاً، وحتى السكان.. لم يطلب من أحد الرحيل ولا حتى فكّر في تغيير قيمة عقود الإيجار، رفض شيئاً واحداً فقط رفضاً باتاً، وهو أن يُملّك أي شقة لساكنيها؛ فعندما ضاعت العمارة من يد الشيخ عمّار، طلب من عبدالله أن يبيع له شقته الذي يسكنها هو وعائلته، لكن عبدالله رفض رفضاً فيه من الإهانة لمكانة الشيخ عمّار الكثير؛ فعبدالله حدّثه بعدم اكتراث وتعالي لا مثيل لهما، وتناسى فضل الرجل عليه، بل أنه قد زاد من تعاليه وتكَبُره عليه أنه رفض وساطة أحد مشايخه القُدامى ليوافق عبدالله أن يبيع للشيخ عمّار الشقة، فغضب منه الأخير غضباً كبيراً لكنه لم يظهر له هذا الغضب.

في ذلك الوقت كان مُعاذ ابنه له نشاط سياسي واسع، وانضم لعدة منظمات دعوّية تطالب بالحُكم الإسلامي للبلاد وتطبيق شرع الله في كل مجالات



الدولة، فما كان من أجهزة الدولة إلا أن تقوم باعتقاله، فقامت قوة من الأمن الوطني بمداهمة شقة والده حيث يقيم مُعاذ واعتقلت الشاب وسط صراخ والدته وأخته، وعندما علم والده بالخبر قام على الفور بالاستنجاد بشيوخه في الدعوة السلفية ولكن للأسف لم يتمكن أحدٌ منهم من مساعدته، فنِجمهم قد أفلّ عند أصحاب القرار، ونصحه أحدهم بالاستنجاد بالشيخ عبدالله فهو ابن السلطة المُدلل الآن ولن يرفضوا وساطته أبداً، وبالفعل ذهب الرجل على الفور للشيخ عبدالله في مقر عمله الجديد حيث مكتبه الدّعوي والإعلامي، وطلب لقاءه على وجه السرعة في أمرٍ هام، فسمح له عبدالله بمقابلته وعندما علم سبب زيارته ضحك ضحكة خبيثة مثله، ورفض التدخل نهائياً وقال للأب المكلوم:

- كيف تريدني أن أتوسط لشابٍ يعادي الدولة يا شيخ عمّار! أجننت يا رجل أم أن زوجتك الحسناء الأخيرة قد أفقدتك عقلك ورشدك؟!

فيثور عليه الشيخ عمّار ويفقد رباطة جأشه ويرد عليه ويقول:

- بل الواضح أنك من جننت يا عبدالله! أنسيت من أنت ومن كنت منذ سنوات، أم أن المال والشهرة قد أفقدتك ذاكرتك القريبة يا من كنت تُقبل يدي لكي أرضى عنك! أتناسيت أنني سبب كل ما أنت به أيها المُحتال الفاجر، أم أن كثرة زيجات المُتعة التي تتزوجها كل يومين قد جعلتك تعتقد أنك شهريار العصر! فلتفِق وتعود لرشدك يا شيخ قبل أن أفضحك في كل مكان وأخبر مريدينك عن



شـيخهم وأكشـف وجهك القبيح الذي أعلم عنه كل شـيء منذ أن كنت تسكن حجرة السطوح الحقيرة.

يضحك عبدالله ويرد عليه:

- فلتفعل ولنرى من سـيصـدقه الناس، فأنا لو قلت لمن حولي أن الشـمس لن تشـرق بعد الآن إلا في الليل سـيصـدِّقون على كلامي ويقولون لي صدقت يا شيخنا، ولو أشـرت بأصبعي الصغير عليك وقلت لهم أنك من أحبار اليهود ويجب أن نُقيم عليك الحدّ، لقالوا لي في نفسٍ واحد "اِجلد يا شـيخ ولا تبالي" فلا تلعب معي لعبة عضّ الأصابع لأن أسناني حادة وستتألم يا شيخي العزيز.

يخرج من عنده الشـيخ عمّار وهو يتمتم باللعنات عليه، ويذهب لمعرفة مصير ولده، فيقابل عِصام الذي علم من والدته ما حدث معهم، فيحتضنه الشيخ الحائر ليطمئنه عِصام ويقول له:

- اطمئن يا عمي عمّار، لقد تحدثت مع محامي كبير ليحضر مع مُعاذ التحقيقات، وبإذن الله سيستطيع أن يُخرجه من ورطته تلك.

يبتسم له الشيخ ويقول:

- ونعم الأصل والتربية يا عِصام يا ولدي، فعلاً الرجال لا تظهر إلا في وقت الشدائد، عكس عديمي الأصل ناكري الجميل.

يفهم عِصام من كلام الشـيخ مقصده ويبتسم، فيحكي له الشـيخ عمّار ما دار بينه وبين عبدالله، ليبتسم عِصام أكثر ويتأكد من نظرته الدونِّية لعبدالله، ويقف مع الشـيخ عمّار حتى يتجمع أقاربه حوله ويحاولون



مســاعدته بعلاقاتهم ببعض رجال الدولة ولكن دون جدوى، ليُحبس مُعاذ أربعة أيام على ذمةِ التحقيقات ويعود الأب بدون ابنه، فتسقط والدته أرضاً عندما تعلم الخبر وتُنقل للمشفى.

علمت سُــعاد بكل تلك الأحداث من الحاجة صــفاء، التي هبطت لشــقتها وتحدثت معها، لترجوها أن تتوسط لعائلة الشيخ عمّار عند عبدالله زوجها، علّه بعلاقاته المتعددة يســتطيع أن يُخرج الشــاب رأفةً بوالدته التي ترقد بالمشــفى بين الحياة والموت، قد يعيدها خبر عودة ولدها للحياة مرة أخرى، فتعدها سُــعاد بالتحدث معه فوراً، لكن دون فائدة، عندما علم عبدالله سـبب اتصـالها عليه، نهرها وتشـاجر معها ومنعها من التحدث مع أيٍ منهم، فهو لن يتدخل لأي أحد ويُعّرض مكانته للخطر.

فما كان من سُــعاد إلا الاتصــال بأبيها لتحكي له ما حدث، حتى يحاول هو بنفســه معه، فهي تعلم أن أبيها ســعيد يُحب ويحترم الشــيخ عمّار وعائلته، وبالفعل.. ما أن علم عم ســعيد بما حدث حتى ســارع بالســفر للمدينة والتوجه لعبدالله الذي اســتقبله بترحابٍ وكرم شــديدين، لكن الرجل كان غاضــباً جداً منه ولامهُ كثيراً على تقصــيره في ردّ جميل الشــيخ عمّار، وأخذ يُذكره بما مضـى وما فعله الشـيخ معه، فهو كان كما يقول دائماً وجه الخير على عبدالله ولولاه بعد توفيق الله وفضــله لما وصــل عبدالله لتلك المكانة وهذه الثروة، فما كان من عبدالله إلا الرضــوخ لطلب عم ســعيد، فهو رغم كل صــفاته القذرة لا يســتطيع أن يرفض للرجل العجوز طلباً، وهذا ليس لأنه يعترف بفضـل عم سـعيد عليه وإلا كان قد اعترف بفضـل الشـيخ عمّار



عليه أيضاً، ولكن لأن عبدالله يُصدِّق في قرارة نفسه القبيحة أن عم سعيد هو تميمة حظه، ولو فقد رضاه سيفقد معه حظهِ السعيد وستتعثر خطوات وصوله للقمة.

بالفعل تدّخل عبدالله، وتحدث مع أحد كبار موظفي الدولة وتمكّن بعلاقته بالأجهزة الأمنية أن يتم الإفراج عن مُعاذ، مع أخد تعهُد منه بعدم تكرار فعلته وأن يترك السياسة وينتبه لحياته، وبالطبع بعدما جلس الشاب في ضيافتهم بضع أيام كانت من أبشع أيام حياته، لم يكن أمامه إلا الإذعان لما طلبوا منه.

عاد مُعاذ لأسرته، وتحسنت والدته وعادت هي الأخرى لشقتها، وعاد أيضاً عم سعيد لبلدته الصغيرة.

في تلك الأثناء.. مرضت السيدة آمال مرضاً شديداً، وأقامت معها نِعمة إقامة كاملة تُمرضها وترعاها، حيث وقعت آمال ذات يوم على ساقها فتسبب ذلك في كسر مِفصل الساق وشرخاً بالحوض، قامت على اثره بإجراء أكثر من عملية جراحية وعادت بعد شهور لشقتها وطلبت من نِعمة الإقامة معها هي وابنتها نسمة لتقوم برعايتها نظير أجر، استأذنت نِعمة زوجها لعمل ذلك، فلم يمانع، وبالفعل أقامت نِعمة وابنتها مع آمال التي أصبحت تعتمد في حركتها على ممشى حديدي تستند عليه كلما أرادت أن تتحرك بضعة خطوات، وحتى الدخول لدورة المياه كانت لا تستطيع فعل ذلك بمفردها، فكانت نِعمة تقوم بمساعدتها في كل شيء، وتقوم بترتيب المنزل والطهي وكل ما يلزم المنزل من طلبات، وفوق كل ذلك كانت تتحمل بكل ودّ ما تبقى من



عصـــبية آمال عندما تتجرأ نِعمة ولا تقوم مثلاً بطيّ الملابس بالطريقة التي اعتادت عليها آمال، فتضحك نِعمة وتداعب آمال قائلة:

- لن أقوم بطيّ الملابس بعد غسـيلها من الآن، سـألقي بها وهي هكذا في خزانة الملابس، بلا ترتيب ولا فصل للألوان حتى تصرخي بوجهي لأطمئن حينها أنكِ بخير حال.

لتنسى آمال غضبها وتبتسم، وتدعو لنِعمة بالصحة وخير الجزاء وتقول لها:

- أنتِ يا نعمتي بالفعل نِعمة، اسم على مسمى، لولاكِ ولولا وجودك معي لكنت قد اســتقبلت الموت وتعفنت جثتي دون أن يعلم عني أحد، فأنتِ نِعمة الله لي الذي وهبني إياها في آخر العمر، وابنتك هي ابنتي التي حُرمت من انجابها، ملأت أركان المنزل الرتيب حياة وحركة، وتغيرت مع وجودها حياتي المملة، وشعرت بالحياة والونس رغم المرض وقرب الميعاد.

تغضب من كلامها نِعمة وتقول:

- أطال الله بعمرك أيتها الحبيبة، أنتِ تملكين قلب حنون رغم عصبيتك المستمرة، حفظتك العذراء وقامت برعايتك ليلاً ونهاراً.

تبتســم آمال لكلمات نِعمة الحنونة، ثم تختفي بســمتها فجأة عندما تنظر لجلبابٍ بيد نِعمة تقوم بطيّه اســتعداداً لوضــعه في خزانة ملابس آمال وتصرخ بها وتقول:



- ما هذا الذي تفعلينه أيتها الخرقاء المُهملة! ألم أعلِّمك كيف تطوين الجلباب بطريقة صحيحة، لا فائدة منك فعقلك يوجد به الفراغ وعاطف وفقط.

تبتسم نِعمة وتكيدها وتقوم بإلقاء الجلباب في الخزانة كما هو، ثم تلتقطه بعد بُرهة قبل أن تجري وراءها آمال بمشّايتها الحديدية وتطويه بالطريقة التي تريدها آمال، فيضحكا سوياً ويثرثرا معاً حتى تملّ آمال من كثرة كلامها وتُخرجها من غرفتها لترتاح منها ومن ثرثرتها.

كانت علاقتهما جميلة و ودودة وتتمتع كليهما بروح الدعابة التي تخفف من آلام المرض عن آمال.

لم ينس الشيخ عمّار ما فعلهُ به عبدالله، وقرر في نفسهِ أن يرد له ما فعله وينتقم منه أشد انتقام، أصبح يتتبع تحركاته ويجمع عنه الأخبار، طبعاً ليس أخباره المُعلنة، بل أخبار أبوابه الخلفية التي لا يعلم عنها أحد شيء، استمر على ذلك شهور لم يملّ ولم تهدأ ثورة غضبه أبداً، بل كان مع مرور الوقت وحِرص عبدالله الشديد يزداد غضباً منه وإصراراً على الانتقام، حتى جاء اليوم الموعود.. وتمكّن الشيخ عمّار ومَن أسند إليهم مُهمة مراقبة عبدالله على مدار الأربع والعشرين ساعة يومياً أن يتوصلوا لسيدة تكررت زيارتها بشكل دوري له كل بضعة أشهر بحُجة استشارته في أمور فقهية، لكن أحد رجال الشيخ عمّار اللذين يراقبون عبدالله قد تمكّن من الوصول لمعلومة أن تلك السيدة قد جاءت له من بلدٍ عربي بعد الاتفاق معه - بعد عِدة زيارات رسمية له



في مقر عمله - على الزواج منه، وبالفعل فور وصولها طلب منها مقابلته في شـــقةٍ يمتلكها لا يعلم عنها أحد إلا مدير أعماله الذي تســرّب هذا الخبر من عندهِ عندما ثرثر ببعض المعلومات الخاصـــة بعبدالله في مجلسٍ يضُـم أحد عيون الشيخ عمّار، كان يقصد بثرثرته تلك التباهي أمامهم أنه كاتم أسراره الوحيد، فقال لهم أنه سيستقبل تلك السيدة بالمطار ويوصـلها لمكتب الشـيخ عبدالله حتى يصـطحبها الأخير لمكان شقتهِ السرية ويعقد عليها ويتمم إجراءات الزواج، وبالفعل ذهبت تلك السيدة معه للعنوان المُحدد واستقبلها الشيخ عبدالله، ولكنها فوجئت بعدم وجود "مأذون شـرعي" أو شـهود، ليفاجئها بأنه سـيتزوجها عُرفياً وأن هذا الزواج حلال ولا شُبهةً به، فتوافق السيدة وتقتنع، لتُفاجأ مرة أخرى أنه يُهاتف صـديقين له ليكونا شـاهدين على عقد هذا الزواج الشـفهي! ويعلنها بعد هاتان المكالمتان زوجة له! فتثور السـيدة وتحاول الخروج من الشـــقـة؛ نظراً لغرابة الموقف، لكنه يُرغمها على المكوث ويعتدي عليها جسـدياً وجنسـياً، ثم يتركها ويذهب! ليهاتفها بعد ذلك في صباح اليوم التالي ويقول لها:

- لقد كنتِ زوجتي الليلة الماضـية، أما اليوم فأنتِ حُرة، لقد طلّقتك من الآن.

لتنهال عليه السيدة بالسِباب وتقول له:



- أنا لم أكن زوجتك الليلة الماضـــية أيها المُغتصـــب الشـــهواني لكي أكون حُرة منك اليوم، سأقوم بفضحك في كل مكان وأُعلن للجميع ما فعلته.

يضحك ويقول لها قبل أن يغلق الهاتف في وجهها:

- فلتحـاولي أيتهـا الجميلـة، ولتفعلي، فلقـد حـاولـتْ قبلـكِ الكثيرات، ولم ينالهن ســوى الســباب واللّعنات من مُحبين ومُريدين الشــيخ عبدالله فتحي الذي لا يُصدق عنه إلا ما يقوله هو وفقط.

عَلِم بالواقعة الشـيخ عمّار، بعد أن اشـترى باقي التفاصـيل من مدير مكتب عبدالله، وتنفّس الصــعداء، فأخيراً ســينتقم من ذلك المُدعي المحتال ناكر الجميـل، حـاول الوصـــول لتلـك الســـيدة بكل الطرق، حتى نجح وذهـب لمقابلتها، وبالفعل علم عنها كل شـيء وســافر لها خصـيصــاً ليأخذ منها كل المعلومات والخبايا.

****

كان الشــيخ أحمد الشــيخ الأزهري الجليل، صــديق عبدالله رغم الاختلاف الفجّ في طبـاع كل منهمـا، يراقـب تطورات شــخصــيـة عبـدالله - وهي لا تزال تذهب من الســيء للأســوأ - في صــمتٍ حزين، يدعو له بالهداية ولا يبخل في نصــيحتـه بلينِ الكلام، وبالتزامن مع كل هـذا ترقى في وظيفتـه وأصـــبح من علماء الأزهر المعروف عنهم النزاهة والصدق ولين الحديث، أصبح أمين لجنة الفتوى، فبـارك لـه جميع أصـــدقـاءه إلا عبـدالله؛ فهو كـان يطمع في هـذا المنصب، رغم أنه يعلم علم اليقين أن الشـيخ أحمد باعتداله وفكرهِ المُتفتح



وعلمهِ الواسع أحق منه بذلك المنصب والمكانة، ورغم ذلك حاول محاولات مُستميتة أن يأخذ من صديقه ترقيته، لكنه لم يفلح؛ فالأزهر كيان وكينونة يقوم على الصدق والأمانة، وعندما يتسلل بين أعضاءه عضوٌ فاسد كعبدالله، ليس هذا معناه أبداً أن هذا الصّرح العلمي لن يلفظه ولو بعد حين ويتطهر منه.

حزن الشيخ أحمد من جفاء صديقه له ولكنه كعادته التمس الأعذار ودعا له بالهداية، كان مُخلصاً تقياً، تزوج سيدة صالحة ورُزق منها ببنتين كل واحدة منهن قُرّة عين لأبيهما، عرض عبدالله على صديقه أن يسكن عنده في عمارة لوران في شقة الأستاذ سيد رحمه الله، لكنه رفض لأن إمكانياته كانت لا تسمح له بمثل هذه النقلة الاجتماعية، لكن عبدالله أصّر على ذلك وعرض عليه أن يدفع نفس إيجار شقته القديمة التي كانت في منطقة شعبية لا تليق به، لكنه رفض رفضاً باتاً، أما عندما ترقى وزاد راتبه وافق على عرض عبدالله ولكنه اشترط عليه أن يؤجر الشقة منه بنفس إيجار من يسكن باقي شقق البناية، ليضحك عبدالله ويقول له:

- أوافق أيها العنيد، فكل من بالبناية يدفعون مبالغ لا تُذكر ورغم ذلك لم أرفع قيمة الايجارات عليهم مليماً واحداً.

تعجب أحمد من كلام صديقه لكنه لم يعلق، خرج من عنده ليستعد لنقل منقولاته لمسكنه الجديد، ما أن خرج حتى ابتسم عبدالله وقال في نفسه:



- أيها الأحمق.. سأرتضي بالمليمات التي سآخذها منك مقابل الشقة التي لا تحلم حتى أن تمُر بجانبها لسببٍ واحد، وهو أن أراك ساكناً عندي وأنا صاحب العقار الذي يأويك.

استقرت أحوال البناية وعادت كل شقيقها تنبض بها الحياة، حتى جاء اليوم وفاضت روح آمال لبارئها، حيث استيقظت البناية كلها على صراخ نِعمة التي فُجعت عندما دخلت على آمال حجرتها لتُيقظها حتى تتناول طعام الفطور معها كالعادة بعد أن ذهبت ابنتها للمدرسة، فلم ترد عليها، لتقترب منها وتتحسس أنفاسها فتكتشف أنها فارقت الحياة، فما كان منها إلا الصراخ والعويل حتى تجمّع كل من بالبناية، وكان أول من وصل لها زوجها عاطف الذي ترك مكانه عند باب البناية وصعد لها مسرعاً، ترحّم الجميع عليها، وكرّموها وشيعوها لمثواها الأخير وأقام لها الشيخ عمّار العزاء في مدخل البناية للرجال وفي شقتها للسيدات، وتولى الشيخ أحمد مُهمة قراءة بعض آيات القرآن بصوتهِ العذب الورع، ثم ألقى بعض جُمل الوعظ التي تُذيب القلوب من حكمتها وصدقها، تفاجأ الجميع بالشيخ أحمد، خاصة الشيخ عمّار الذي شكره على تطوعهِ وعلى صوته العذب وحكمته وتمكُنه وثقافته في إلقاء الوعظ، ليخجل من مديحه الشيخ أحمد ويمتنّ له ولكرمهِ وأخلاقه. تركت السيدة آمال وراءها وصيّة، كانت تأتمن الحاجة صفاء عليها، وعندما فرغوا من العزاء سلّمت الحاجة صفاء الوصيّة للشيخ عمّار؛ لينفذها ويعينها على تحقيقها، كانت الوصيّة عبارة عن التنازل عن كل ما تملك من حُلي وأموال نقدية لنِعمة وعائلتها، وأيضاً تنازلت عن كل محتويات شقتها لها



نظير خدمتها وإخلاصـها، وكتبت للشـيخ عمّار أن يطلب من الشـيخ عبدالله أن يوافق على تنازلها لنِعمة عن الشقة وأن ينقل عقد الإيجار بإسمها.

عندما قرأ الشـيخ عمّار تلك الوصـيّة تعجّب من كرم الراحلة وعاهد نفسـه أن يُنفذ كل ما جاء بها، لكنه توقف عند نقل عقد إيجار الشـقة لنِعمة، فهو يعلم علم اليقين أن عبدالله لن يوافق أبداً على هذا الشيء، فهو يعلم باطنه الأسـود، لكنه فكر أن يسـتعين بالشـيخ أحمد بعد أن علم منه أنه صـديق عبدالله المقرّب، علّه يسـتطيع التأثير عليه، أو يسـتطيع مع رفضـه لتنفيذ وصـيّة الراحلة بكشـف وجهه القبيح أمام سـكان البناية جميعاً وأولهم صديقه.

بالفعل.. طلب من الشـيخ أحمد مسـاعدته في إقناع عبدالله على الموافقة، ورحب الشـيخ أحمد وأكد له أن عبدالله لا يمكن أن يرفض هذا الأمر أبداً، فهذه وصيّة ميت وفي نفس الوقت فِعل خير.

اتفق الشـيخان أن يذهبا للشـيخ الثالث ليعلموه بالوصـيّة ورجاء السـيدة المتوفاة، وفور وصـولهما اسـتقبلهما عبدالله بترحابٍ شـديد، لكن هذا الترحاب تبدد عندما علم بسِّـر زيارتهما، فثار ثورة عجيبة لا مبرر لها وقال لهما:

- أأنتما تطلبان مني أن أتنازل عن حقي القانوني في اسـترداد شـقتي التي آلت لي بوفاة مستأجريها، والتنازل عنها! ولمَنّ... لخادمة وزوجها حارس العقار، ناهيك عن أنهم أسـرة نَصـرانية لا تؤمن بالله ولا بالرسـول الكريم! والله لو سـأرتضي التنازل عن حقي لأسـرة فقيرة



مُسـلمة لكنت قد فكرت في الأمر، أما أن أتنازل عن حقي ولتلك الأسرة الكافرة، فهذا لن يحدث أبداً.

ينظر له الشـيخان في دهشـة وصلت لحدّ الصـدمة، ولا ينطقا ببنت شـفة وينصـرفا من أمامه صـامتين، خرجا معاً من باب الشـيخ الكبير المشـهور المسـموعةِ كلمته، الذي له من المتابعين الملايين، الذي يُفتي في أمور الدين والدنيا، وهما من هما.. أحدهما شيخاً سلفياً مُتشدداً تربى في كنف الشيوخ السلفيين اللذين يُصّعبون معظم السهل المُباح ولا يختارون من أمور الدنيا إلا أصـعبها، لكن بالرغم من ذلك لم يجد الشـيخ عمّار السـلفي المتشـدد غضاضة في وصيّة الراحلة وسعى لتنفيذها ولم يلتفت لديانة الأسرة، لكنه التفت فقط لجزاء الإحسان بالإحسان.

وثاني الشـيخين هو شـيخ أزهري مثقف، يُلِم ببواطن الأمور، يعلم عن الدين سِحره وحُبه وتكريمه للإنسان مُجرداً، ويسعى لنشر الوسطية والسلام بين الجميع، لا يُرائي ولا يُجامل في دينه، ورغم ذلك لم يرَ أي عيبٍ في وصـيّة الخير والتعايُش تلك، بل وحاول تنفيذها.

لكن الشيخ المُدّعي الذي يتاجر بكل شيء في سبيل الوصول للثروة والسلطة، كان بابه الخلفيّ مليء بقاذورات الطائفية والتشـدُد وكُره الآخر والتعالي على خلق الله، وتناسى أن الدين لله وحده وهو من سيحاسب عليه.

عاد الشـيخان واعتذرا لنِعمة وأسـرتها، ونفذوا باقي وصـية الراحلة، فأخذت نِعمة كل مُقتنيات ومحتويات الشـقة، احتفظت ببعض المنقولات في حجرتها البسـيطة فوق السـطوح وباعت ما تبقى وهي حزينة، لكنها حرصت أن تُخرج



صدقات ببعض المال الذي تركته السيدة آمال على روحها هي وخالها وأختها الحاجة وفاء، وظلت تذكُرها كل صباح ومساء وتبعث لها بالرحمات هي وابنتها وزوجها جزاءً لها على ما فعلته معهم.

تزوج عِصام بعد شهورٍ قليلة من خطيبته وعاشا مع الحاجة صفاء في نفس الشقة، بعد أن رفض عِصام نصيحة أُمه بأن يطلب من عبدالله تأجير شقة الراحلة آمال ليتزوج بها، أو تهبط الحاجة صفاء لتعيش بها وتترك له شقتها.

عاد زوج شيرين وترك عملهِ بالخارج، ففرحت به إنجي ابنته كثيراً، عكس والدتها التي اعتادت على الحياة بحُرية، لكنها استسلمت للأمر الواقع وتجنبت الصدام مع زوجها الغريب عنها.

تزوج مُعاذ أيضاً من ابنة أحد الشيوخ أصدقاء والده وسافر مع زوجته للخارج واستقرا هناك، حصل عليّ على شهادته وسافر هو الآخر ليحصل على درجات علمية أخرى، واستمر طلحّة في حب إنجي الصامت حتى انتهت من مرحلتها الثانوية والتحقت بنفس جامعته وهنا بدأت قصة حبهما، عندما استوقفته لتواجهه بما يخبئه عنها لكنها تعلمهُ منذ سنوات، وكانت حريصة على اللحاق به في نفس الجامعة لتجعله يعترف لها بحُبه، وأخيراً اعترف الشاب وارتاح قلبه، أما أمينة الابنة الصغرى فزوّجها أبيها من شابٍ تقيّ ابن أحد الشيوخ أصدقاءه، وهي لا زالت في السادسة عشر، لكنها فرحت كثيراً، فهي مثل أمها لا طموح لها وتحلم بمنزل مستقل تبني فيه أسرة تعوض بها حرمانها ووحدتها في بيت أبيها.



ظلت سُعاد زوجة عبدالله كما هي.. الزوجة المخلصة المُسانِدة رغم معرفتها بكل خطايا زوجها، ترعى أطفالها وتربيهم على الحب والحنان، وتحاول أن تعوضهم غياب أبيهم قدر استطاعتها، تقرَّبت من زوجة الشيخ أحمد وصارا صديقتان، وفهمت منها الكثير والكثير عن أمور الدين والدنيا، وحاولت تطبيق ما فهمت على أولادها وإبعادهم عن كل فكر متشدد وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة.

كل تلك الأحداث لم تنجح في جعل الشيخ عمّار ينسى انتقامه، واصطبر عليه حتى حانت لحظته المناسبة، بعد أن مرّ وقت ليس بقصير على حادثة حبس مُعاذ ابنه، وأيضاً اطمئن خلال ذلك الوقت على كل أبناءه، قرر الانتقام..

سرّب لبعض القنوات الإعلامية خبر اعتداء الشيخ عبدالله فتحي على السيدة العربية وأرفق الخبر ببعض المعلومات، فتكالبت القنوات على الوصول للسيدة التي كان التواصل معها سهلاً؛ فقد أرفق الشيخ عمّار كل ما يلزمهم لذلك في التسريب.

تهافت الجميع على متابعة تلك الحادثة، وانقسم الناس إلى فريقين متناحرين، فريق يدعم عبدالله ويهاجم كل من يخالف ذلك، دون حتى أن يستمع للسيدة ودوافعها واثباتاتها، وفريق يرى أنه ليس هذا الرمز أو المعصوم ويهاجمون من يدعمونه دون تعَقُّل وتحليل للموقف أو حتى سماع الطرف الآخر، ولأول مرة يهتز موقف عبدالله ويشعر بالخطر على مركزه وكيانه، ربما لأن السيدة ليست مصرية، وربما للهجمة الشرسة عليه من



أعداءه، أو ربما لأنه يعلم مدى ورطته هذه المرة وأن الإفلات منها ليس سهلاً كالمرات السابقة، فلجأ لكل من يستطيع اللجوء إليه ليحميه ويكُفّ الهجوم عليه، لكن الهجمة كانت أكبر من أن يتم التعتيم عليها، فظهرت صفحات ومواقع تهاجمه وتنشر فيديوهات له مُعادية للمرأة وللمسيحيين وانتشر تسجيل صوتي له وهو يتحدث عن نِعمة وأسرتها بطريقة غير لائقة، عندما طلب منه الشيخ عمّار إعطاءها شقة الراحلة آمال، وكان هذا المقطع الصوتي به من البشاعة وكُره الآخر والتكّبُر ما يستطيع أن يقضي على شعبية عبدالله في أيامٍ قليلة.

بالفعل.. ألغى معظم من يتابعه متابعته، وكُممت أفواه المُضللين اللذين يدافعون عنه، وظهرت له مقاطع أخرى قضت على البقية الباقية من متابعينه.

التزم منزله عدة أسابيع، أغلق كل هواتفه، لكنه فوجئ بطلبٍ رسمي للتحقيق معه في تلك الواقعة، لم يكن يعي ما يحدث له، وكأن العالم كله قد اتفق على أن يقضي عليه بين ليلةٍ وضُحاها، لم يجد سوى سُعاد زوجته المخلصة هي من تُساندە، رغم عِلمها بكل نواقصه إلا إنها كانت تدافع عن زوجها وأبو أولادها.

أَفلّ نِجم عبدالله في أيامٍ معدودة، وأثبتت التحريات وكاميرات المراقبة تواجده مع تلك السيدة في الأماكن التي حددتها في بلاغها الذي أُرفق بصورة من أحاديثه الخاصة معها، وقبل محاكمته بأيامٍ بعد انتهاء التحقيقات وتحويل القضية إلى القضاء ليفصل فيها.. اختفى عبدالله من البلاد، تعجّب



الجميع كيف خرج وهو ممنوعٌ من السفر، وأين ذهب وزوجته وأولاده بل وأملاكه كلها هنا داخل البلاد، ومَن ساعده على الخروج من البلاد، وإلى أين اتجه!

كل تلك الأسئلة لم يجب عليها أحد إلا بعد أسابيع من اختفاءه؛ حيث بَثّ مقطع مُصور له وهو في بلد أجنبي، يقول فيه بكل صفاقة.. أنه اضطر أن يخرج من البلاد حتى يستطيع إثبات براءته وقال أيضاً:

- لقد اضُطررت للخروج من بلادي الغالية بعد أن تكاتف أهل الشر والمُعادين للدين والمحاربين لشرع الله محاولين التخلص مني، وقاموا بتزوير وفبركة مقاطع مصورة لي وهي ليست لي، وقاموا بزج اسمي في قضية أخلاقية مع سيدة مأجورة لتشويه سمعتي وكتم صوتي الذي قضّ مضاجعهم، لكني بفضل الله وبفضل متابعيني سأعود إليهم في الوقت المناسب وأدحض شائعاتهم وتشويههم لي.

ليضحك عصام كثيراً عندما يرى هذا المقطع، ويأسف عليه وعلى تكبُره وغروره.

شاهد الكثير من الناس هذا المقطع الهزلي منهم...

الشيخ عمّار.. الذي ابتسم ابتسامة تَشَفّي وأخذْ بالثأر.

الشيخ أحمد.. الذي حزن على صديقه ودعا له بالهداية والرجوع لطريق الحق.

السيدة شيرين.. التي تذكرت سقطتها معه وارتسمت على وجهها علامات الاشمئزاز منه ومن نفسها في تلك المرحلة.



زوجته السيدة سُعاد.. التي دمعت عيناها حزناً على رفيق عمرها الأناني الذي لا يرى إلا نفسه وفقط.

والكثيرين غيرهم من متابعي القضية اللذين فهموا من هروبه أنه مُدان ومغرور وعديم الأخلاق.

وقلة قليلة من أنصاف العقول اللذين يعشقون اختراع أصنام يطوفون حولها وهم مُغمضي الأعين ومُعادين للتعقُل والتفكُر، اللذين ساندوه ودعموا موقفه رغم كل الشواهد على غيّه وسفاهته.

فُصل عبدالله من عمله بالأوقاف وتناقصت أخباره شيئاً فشيء حتى تناسى الجميع وجوده وتواجده سواء الفعلي أو الافتراضي، حتى عاد للمشهد من جديد بعد الحكم عليه في قضيته تلك بالسجن خمس سنوات غيابياً، ووضع اسمه في قوائم ترقُب الوصول للقبض عليه حال وصوله البلاد مرة أخرى، لتُقفل صفحته لفترة ليست بالقصيرة أبداً في حياة من كان جزءاً مُهماً في حياتهم، اللّهم من بعض الصور التي تُنشر له من قِبل مصريين بالخارج وهو في أماكن للسهر بصُحبة سيدات أجنبيات، أو مقطع مصور له وهو يتشاجر مع أحد الأشخاص في مكان ما، أو طرده من مكان عبادة للمسلمين بعد أن علم الجميع عنه فساد أخلاقه.

وهكذا ظهرت حقيقة عبدالله فتحي الذي ملأ السمع والبصر فترة من الفترات، واعتمد على ذكاءه الذي انقلب إلى غرور وتكبُر، فجاء جزاء ربه "وما كان ربك نسياً" ليكشف عنه غطاء ستره ويجعله عِبرة لمن يعتبر.

عكفت سُعاد على تربية أولادها بمساعدة الشيخ أحمد وزوجته الرائعة التي كانت بمثابة أخت لها، وعاشت حياتها بما يأتيها من دخل بسيط من إيجار شقق البناية، فهي الشيء الوحيد الذي تبقى لها بعد أن هرب زوجها بكل أمواله الذي كان يحوّلها للخارج أولاً بأول، حتى الفيلا التي كان يقيم بها معظم وقته وبعض الأراضي والعقارات الأخرى قد تم بيعها بواسطة توكيل منه قبل أن يغادر البلاد لمحاميه وتحويل أموال كل ذلك له بالخارج، دون أن يفكر بمستقبل أولاده ولا زوجته، فهو كعادته أناني لا يرى سوى نفسه المريضة الشهوانية وفقط.

تَمكّنت البناية أن تُحكم إغلاق أبوابها الخلفية جيداً، وفَتحت بابها الرئيسي على مصراعيه، فلم يعد هناك ما يستحق التسلُل لأجلهِ عبر الأبواب الخلفية بعد أن استقر كل سكانها وصححوا مسار حياتهم..

الشيخ أحمد وزوجته وابنتيه.. عاشوا حياة مُستقرة وكانوا خير جيران وأعوان لسُعاد وأولادها، ورزقهما الله بمولود ذكر بعد عدة سنوات أطلق عليه الشيخ أحمد اسم (مصطفى) ووهبه للعلم والدين.

عاطف ونِعمة وابنتهما نِسمة.. استقرت حياتهم وأعطتهم سُعاد شقة السيدة آمال ونفذت وصيتها الخيّرة، وتمكنوا من تعليم ابنتهما الوحيدة التي كانت متفوقة جداً ومُتدينة لأبعد حد، حيث كانت تصحبها أمها كل أحد لقُداس الكنيسة، وكانت ترعى وتخدم هي وأمها كل محتاج يأتي للكنيسة طالباً للعون أو المساعدة.



السيدة شيرين ارتدت الحجاب، وعاشت لزوجها وابنتها وحاولت تعويضهما عن تقصيرها في حقهما وتابت توبةً صادقة من القلب لله، واستقر زوجها في عمله الجديد حيث أنشأ شركة خاصة به وتحسّنت أحواله واستقرت، أما إنجي فاجتهدت في كُليتها وارتدت أيضاً الحجاب واستمرت علاقتها بطلحّة ابن الحاج عمّار، وتواعدا على الزواج بعد انتهاء دراستهما، وقصّت إنجي لوالدتها كل تفاصيل حُبها لطلحّة، ففرحت شيرين بابنتها وتقرّبت منها أكثر وقابلت طلحّة ووعدته بالوقوف بجانبهما، فهي تعلم أن ارتباطه بابنتها صعب؛ خاصة وهي تعلم طريقة تفكير أبيه.

أما سُعاد.. فحاولت قدر الإمكان أن تُربي أولادها على الأخلاق والقيم بمساعدة أسرة الشيخ أحمد، وكان كل أبناءها مجتهدين ومتفوقين دراسياً، فوجدت فيهم العوض والعون والحنان الذي أنساها زوجها الأناني، وبدأت مشوار حياة صعب لكن نتيجته تستحق العناء.

أما شقة السيدة صفاء وابنها عِصام.. فكانت دائماً مستقرة وهادئة؛ فالسيدة صفاء استمرت في عملها المنزلي عدة سنوات بعد زواج ابنها معها، لكنها فضّلت أن تتوقف عن العمل بعد أن رزق الله ابنها وزوجته بطفلين تؤام، فكانت خير جَدّة وحاولت أن تساعد زوجة ابنها في رعاية الطفلين، وازدهر عمل عِصام وزادت مشاريعه وظل الابن البار والزوج المُحب.

أما عن شقة الشيخ عمّار.. فكانت هادئة لكنه هدوء الحزن؛ فالحاجة أم مُعاذ علمت أن زوجها متزوجاً عليها من أخرى منذ سنوات لكنه لم يخبرها صراحةً بذلك، إلا بعد بضع سنوات من زواجه حينما حملّت زوجته،

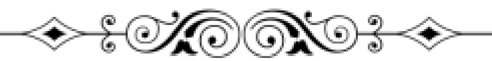


فأعلمها بزواجه واستقر مع زوجته الأخرى هي وطفلهِ الجديد، وكان نادراً ما يسأل عن زوجته الأولى أو يزورها، لم يبق معها سوى طلحّة بعد أن سافر كلٌ من مُعاذ وعليّ واستقرا بالخارج وتزوجت ابنتها أمينة وانشغلت بحياتها وزوجها وأولادها، اعترف طلحّة لأمهِ بحبهِ لإنجي، فامتعضت قليلاً لكنها رضخت لرغبة ابنها ووعدته أن تسانده أمام والده، لكنها اشترطت عليه أن يسكن معها هو وعروسهِ، فهي أصبحت وحيدة، فوافق طلحّة على الفور وقبّل يد أمه الحنون.

وأخيراً... ظلت غرفة السطوح مُغلقة بعد أن تركتها نِعمة وعائلتها، ولم يسكنها أحد بعدهم، حتى بعد أن ترك عاطف زوجها عمله كحارس عقار وعمل مع عصام في شركته وجاء حارس آخر للعقار، فسكن غُرفة عم سعيد التي تقبع بجوار المِصعد، وكأن غُرفة السطوح اكتفت بما حدث بها وأغلقت بابها على أسرارها التي حدثت داخلها، وكأنها تُغلق باباً خلفياً يحمل الكثير والكثير من الأسرار والحكايات، قد تُفتح بعد مرور السنوات، وقد ينساها أصحابها فتبتلعها حوائط الغُرف المُغلقة.

تمت

٢٠٢٢/٨/٢٤



الفهرس